الازدواج اللغوى الواقع والعلاج

الأستاذ الدكتور

محمد عبد اللطيف على

عميد كلية اللغة العربية بجرجا

وأستاذ علم اللغة

تقديم :

لا شك أن اللغة هى الوسيلة الأساسية فى تواصل بنى البشر ، وفى قضاء حوائجهم ، وبدونها يكون الناس فى عزلة ، أو يحتاجون إلى وقت طويل ، وآليات عديدة ؛ لتوصيل ما يريدون . ولذلك عرف ابن جنى اللغة بقوله " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[١] ، وهذا التعريف يوضح طبيعة اللغة وخصائصها ، فهى أصوات اتفقت المجموعة اللغوية على معانيها ، وأن اللغة اجتماعية ، لا تحيا وتعمل إلا بوجود المجتمع ، ووظيفتها هذا المجتمع فيما بينه من خلال اللغة ، وإن كان المحدثون داروا فى فلك التعريف ، إلا أنهم حددوا لهذه اللغة أنظمة تربطها وتحددها ، ولولا هذا النظام ما اتضحت الدلالة ، ولا تجدد المعنى ، فاللغة ليست فوضى بأن تتألف من أصوات أو ألفاظ لا رابط بينها ، ولذلك عرفوا اللغة بقولهم " إن اللغة نظام عرفى لرموز صوتية يستغلها الناس فى الاتصال بعضهم ببعض "[٢] وحاجة الناس للغة تماثل حاجتهم إلى ما يقيم أوْدهم ، ويُبقى حياتهم من الطعام ، وهذا ما قال به عبد الملك بن مروان حيث أورد أبو حيان " اجتمعنا عند عبد الملك بن مروان فقال : أى الآداب أغلب على الناس ؟ فقلنا فأكثرنا فى كل نوع ؛ فقال عبد الملك : ما الناس إلى شئ أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم التى بها يتعاورون القول ، ويتعاطون البيان ، ويتهادون الحكم ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها ،ويجمعون ما تفرق منها ، إن الكلام فارق للحكم بين الخصوم ، وضياء يجلو ظلم الأغاليط ، وحاجة الناس إليه كحاجتهم إلى مواد الأغذية "[٣].

" فاللغة وسيلة اتصال وتواصل السياسى ، والمفكر ، والمثقف ، والفيلسوف ، والمعلم ، والباحث ، والقائد ، والطبيب ، والقاضى ، والشاهد ،

---

[١]- الخصائص لابن جنى ١ / ٣٣ تحقيق محمد على النجار – طبع عالم الكتب ١٩٨٣م .

[٢]- اللغة العربية بين القومية والعالمية د / إبراهيم أنيس ص ١١ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠ م .

[٣]- الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى ٢ / ١٤٤ تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين طبع المطبعة العصرية.

والمصلح ، هى كلام الله للبشر ، وبلاغ الأنبياء ، والمنسوج المشترك بين هؤلاء جميعاً"[١].

والمفترض فى المنتسب للغة العربية أن ينطق ويكتب بها سليمة وصحيحة وفق قواعدها وحدودها ؛ لأن دلالتها تتوقف على سلامتها فى النطق والكتابة ، وهذا يحتاج إلى توفر الإرادة ومدارسة اللغة فى مظانها ، أبو حيان التوحيدى الوسيلة التى يمكن للإنسان أن يتقن لغته ، حتى تُصبح سجية ، ويصبح فيها كالشاعر يقرض الشعر بطبعه دون العودة إلى علم العروض حيث يقول " إن من يتكلم بالإعراب الصحة ولا يلحن ، ، ولا يخطئ ، ويجرى على السليقة الحميدة ، والضريبة السليمة ، قليل أو عزيز وإن الحاجة شديدة لمن عدم هذه السجية ، وهذا المنشأ إلى أن يتعلم النحو ، ويقف على أحكامه ، ويجرى على منهاجه ، و يفى بشروطه فى أسماء العرب ، وأفعالها ، وحروفها ، وموضوعاتها ، ومستعملاتها ، ومهملاتها ومتى اتفق إنسان بهذه الحلية ، وعلى هذا النّجار ، فلعمرى إنه غنى عن تطويل النحويين ، كما يستغنى قارض الشعر بالطبع عن علم العروض "[٢]. ويوضح هذا ابن خلدون بقوله " إن حصول ملكة اللسان العربى إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب ، حتى يرتسم فى خياله المنوال الذى نسجوا عليه تراكيبهم ؛ فينسج هو عليه ، ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم ، وخالط عباراتهم فى كلامهم ، حتى حصلت له الملكة المستقرة فى العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم"[٣].

ولا شك فى أن العصر والبيئة لهما أثرهما فى اللغة ، وفى دلالة ألفاظها على جهة الخصوص ، فاللغة تتأثر بحضارة المجتمع من حيث النظم والتقاليد ، والعادات والعقائد ، والاتجاهات ، والثقافة ، والأحوال والاقتصادية والسياسية البيئية ، فكل تطور وتغير فى هذه الأمور يظهر صداه واضحاً فى أداة التعبير ، وهى اللغة ، فالمجتمع هو التربة الصالحة

---

[١]- كتاب الأمة – اللغة وبناء الذات – ص ٢٣ العدد ١٠١ جمادى الأول سنة ١٤٢٥هـ .

[٢]- الإمتاع والمؤانسة ١ / ١٠٦ – ١٠٧ .

[٣]- مقدمة ابن خلدون ص ٥٦١ تحقيق درويش الجويدى طبع المكتبة العصرية سنة ١٩٩٥م .

لنمو اللغة وحياتها فالإنسان يولد وهو مزود بأعضاء النطق، فإن لم يكن هناك مجتمع يزوده بالألفاظ ، ما تكلم بجملة ذات معنى، وعن ذلك يقول " روبنز " " فاللغة ببساطة تحقق وجودها من خلال الأفراد الذين يكونون جماعة لغوية ، والتغيرات اللغوية عبارة عن تغيرات فى عادات الأفراد الكلامية "[١].

وبذلك يقول " فندريس " من الخطأ أن نعد اللغة كائناً مثالياً ، تتطور مستقلة عن البشر ، وتتبع أغراضها الخاصة بها ، إن اللغة لا توجد خارج أولئك الذين يتكلمون ويفكرون ، إنها تمد جذورها فى أعماق الضمير الفردى ، فهى ليس إلا عنصراً من عناصر الضمير الجمعى الذى يفرض قوانينه كل فرد من الأفراد ، وعلى هذا فتطور اللغات ليس إلا مظهراً من مظاهر تطور الجماعات "[٢] ويؤكد ذلك جورجى زيدان فى خلاصة كتابه " اللغة كائن حى " إذ يقول " يتبين للقارئ مما ذكرناه عن أحوال اللغة العربية فيما توالى عليها من العصور ، والأدوار فى أثناء نموها وارتقائها من زمن الجاهلية إلى هذا اليوم ، إنها صارت فى ذلك سير الكائنات الحية بالدثور والتجدد ، والمعبر عنه بالنمو الحيوى ، فقد تولدت فى العصر الإسلامى ألفاظ وتراكيب لم تكن فى العصر الجاهلى ، وتولدت فى العصور التالية ما لم يكن فيما قبلها ، وأخيراً تولدت فى نهضتنا الأخيرة من الألفاظ ما لم يكن معهوداً من قبل "[٣] ، وقد سبق هؤلاء جميعاً ابن فارس حيث يقول " كانت العرب فى جاهليتها على إرث من إرث آبائهم فى لغاتهم وآدابهم ونسائكم وقرابينهم فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ، ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر ، بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت وشرائط شرطت ، فعفَّى الآخر الأول "[٤] وعن هذا يقول الدكتور تمام حسان " إن لغة كل قوم إنما

---

[١]- موجز تاريخ علم اللغة فى الغرب تأليف ر. هـ . روبنز ص ٢٩٩ ترجمة د / أحمد عوض من إصدارات عالم المعرفة بالكويت .

[٢]- اللغة تأليف " فندريس " ص ٤٣٣ – ٤٣٤ .

[٣]- اللغة كائن حى الأستاذ جورجى زيدان ص ١٣٩ طبع دار الهلال .

[٤]- الصاحبى لابن فارس ص ٧٨ تحقيق السيد أحمد صقر طبع دار إحياء التراث للحلبى سنة ١٩٧٧م .

تسمى تجاربهم الاجتماعية فتضع للمسميات اسماً وتضع للأعمال أفعالاً ، وتضع للعلاقات فيما بينها أدوات تربط بين الكلمات فى السياق ، ويتم كل ذلك فى حدود العرف المحلى لهؤلاء القوم ، ومن ثمَّ تختلف المفردات من لغة إلى لغة ؛ لأن تعارف جماعة ما لا يتشابه بالضرورة مع تعارف الجماعة الأخرى [١]، ولهذا تأكد للدارسين أن اللغة هى عماد الحياة الأول كما قال عبد الملك بن مروان ، وعن ذلك يقول الدكتور كمال بشر " تبين للدارسين بوضوح أن اللغة قوام الحياة وعمادها الأول حيث برزت لهم أهميتها فى المجتمع "[٢].

هذا يوضح لنا أن اللغة مرآة الشعوب ينعكس عليها كل ما يدور فى المجمع الذى ينطق بهذه اللغة من جميع النواحى الدينية ، والاقتصادية ، ، والعادات والتقاليد ، واللغة تنمو وتزدهر بازدهار أهلها ، وتنزوى بتقهقر وتخلف أهلها ، فهى كالكائنات الحية ينتابها التغير والتطور ، وإلا وقفت جامدة لاندثرت مع التطور ، ويوضح لنا الدكتور إبراهيم مدكور بأن هذا التطور تتولد عنه اللهجات واللغات الدارجة حيث يقول " عامل التطور عامل ثورى متمرد على الجمود تقف من ورائه الحضارة قوة دافعة ، فاختلاط الناس بعضهم ببعض ، والرحلة من مكان إلى آخر ، ووجود عناصر بشرية جديدة تدخل على مجموعة مستقرة فتؤثر فى نطقها ، والهجرة الجماعية من البيئة الأصلية إلى أمصار بعيدة أخرى ، وتعاقب الأزمان والأجيال ، مع وجود الفارق فى دقة التلقى عن طريق السمع ، وعن طريق المحاكاة بين الأبناء وآبائهم ، كل ذلك يحدث عاهات عميقة شأن اللغة ، بل يظهر فيها لهجات تتنوع وتنفصل عن اللغة الأم"[٣].

وهذا الذى رصده الدكتور حسين نصار بعد أن عرض عرضاً تاريخياً لمسيرة اللغة ، وأن اللحن تسرب إليها بعد أن اختلط الأعراب بغيرهم ،

---

[١]- اللغة العربية معناها ومبناها د / تمام حسان ص ٣١٤ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩م .

[٢]- علم اللغة الاجتماعى – مدخل – د / كمال بشر ص ٢٧ دار غريب للطباعة بالقاهرة سنة ١٩٩٧م.

[٣]- فى اللغة والأدب د / إبراهيم بيومى مدكور – ص ٣١ سلسلة إقرأ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠م

وسكن الأعراب الأمصار ، وتزوجوا بالإماء من الفرس والروم ، وفتحت البلاد بعد الإسلام وبدا اللحن واضحاً على السنة العامة والخاصة حيث يقول " وكانت لغة التفاهم هذه التى نشأت من اتصال العرب بغيرهم ، هى التى هددت العربية ؛ لأن هذه اللغة استعانت بأبسط وسائل التعبير اللغوى ، فبسطت المحصول الصوتى ، وصوغ القوالب اللغوية ، ونظام تركيب الجملة ، ومحيط المفردات ، وتنازلت عن الإعراب ، وتلك هى الأمور أطلق عليها الفصحاء من العرب اسم اللحن "[١].

والدكتورة "بنت الشاطئ " تؤكد أن الاختلاف اللهجى بين البلدان العربية ناتج عن اختلاف لهجات القبائل العربية التى نزحت إليها حيث تقول " أخذت الشعوب المتعربة لسان عربيتها من مئات القبائل الموزعة على الأقطار الإسلامية ، والقبائل قد هاجرت بلغاتها إلى منازلها الجديدة ، فكان أن اختلفت اللهجات المحلية للمتعربين باختلاف لغات القبائل التى نزلت بينهم وأصهرت إليهم وامتزجت بهم ، وأكثر ما بين لهجات العربية من اختلاف ، يرجع أصلاً إلى اختلاف لهجات القبائل ، ثم كانت هناك عوامل إقليمية لا يمكن تجاهلها ، تركت آثارها فى لهجات الشعوب المتعربة ، النطاق الواسع من قلب الشرق الأسيوى إلى أقصى المغرب الإفريقى والأندلس "[٢].

الازدواج اللغوى :

أورد عبد الرحمن القعود فى كتابه الازدواج اللغوى فى اللغة العربية ، بأن هذا المصطلح لا يحظى باتفاق بين علماء اللغة ، وأن ما يقصد به يدخل تحت الثنائية ؛ لأن الازدواج الصراع بين العربية وبين اللغات الأجنبية ولكنه يرى أن الازدواج يطلق على العربية وما تفرع منها من

---

[١]- المعجم العربى نشأته وتطوره د / حسين نصار ص ١٩ طبع دار مصر للطباعة سنة ١٩٨٨م.

[٢]- لغتنا والحياة د / عائشة عبد الرحمن ص ٨٦ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١م.

لهجات أو عاميات دارجة ، وأخذ ذلك من بطن اللغة نفسها ، ومن معانى الفعل "ازدوج" نقول " ازدوج الشئ أى صار اثنين " [١]، وأرى أن المصطلح يصدق على الفصحى وعاميتها ، وهو ما نحن بصدد الحديث ، ويؤكد هذا الزبيدى حيث يقول " ازدواج الكلام وتزوج أشبه بعضه بعضاً فى السجع أو الوزن أو كان لإحدى القضيتين تعلق بالأخرى "[٢] وأورد الجرجانى " المزدوج : هو أن يكون المتكلم بعد رعايته للأسجاع يجمع فى أثناء القرائن بين لفظين متشابهين فى الوزن والروى ، كقوله تعالى " وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ " النمل /٤٤ ، وقوله صلى الله عليه وسلم " المؤمنون هينون لينون "[٣] ويقول ابن قيم الجوزية " الازدواج : هو أن يزاوج بين الكلمات أو الجمل بكلام عذب وألفاظ حلوة ، ومثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى " فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ البقرة / ١٩٤ ، وقوله تعالى " وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا " الشورى / ٤٠"[٤] وهذه التعريفات جميعها لا يشتم من ألفاظها أو معانيها الصراع أو ، وإنما هو التشابه فى الوزن والروى ، أو أن يكون بين الكلمات المزدوجة العذوبة والحلاوة اللفظية .

ولذلك فإن الازدواج اللغوى الذى نعنيه هو : وجود استعمالين للغة واحدة ، إحداهما لها قواعد ، وتحافظ على أصواتها ، وبنيتها ، وتركيبها ، وهى التى تسمى بالفصحى أو المشتركة ، أو النموذجية ، والأخرى تتحلل من بعض هذه القواعد ، وهى اللهجة ، أو العامية ، أو الدَّارجة ، وهما – أعنى الفصحى والعامية – من نسيج واحد ، إذ الأصوات التى تتكون منها الفصحى ، وهى ذاتها التى تتكون منها العاميات ، وهى التى أوردها

---

[١]– انظر الازدواج اللغوى فى اللغة العربية عبد الرحمن بن محمد القعود ص ١١– ١٢ مطابع التقنية للأوفست سنة ١٤١٧هـ .

[٢]– تاج العروس للزبيدى مادة " ز و ج " ٢ / ٥٥ طبع مطابع دار صادر بيروت سنة ١٩٦٦م.

[٣]– التعريفات للجرجانى ص ٢٧٠ تحقيق إبراهيم الإبيارى طبع دار الريان للتراث .

[٤]– الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن قيم الجوزية ص ٢٢٥ طبع مكتبة المتنبى بالقاهرة .

الجيد منها والردئ إذ يقول " وهذه الحروف التى تمَّمتها اثنين وأربعين جيَّدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون ، لا تتبين إلا بالمشافهة "[١].
وهذا الازدواج لا يؤدى إلى الانفصام بين الاستعماليين ، أو الصراع بينهما بحيث يقضى أحدهما على الآخر ، وإنما هو دليل على أن اللغة قادرة على أن تعبر عن المعنى بصور متعددة ، فى مواقف مختلفة ، " إن وجود العاميات والدوراج أمر طبيعى ، ولا يوجد صراع بين العربية الأم المتعددة ؛ لأن تعدد اللهجات فى ظل لغة أم ظاهرة طبيعية مألوفة فى واقع الحياة وطبائع الأشياء ، ولكن الخلل فى تحويل اللهجات العامية إلى سلاح ضد العربية الفصحى ، وهو ما اصطنعه الاستعمار "[٢].
ولم تكن الازدواجية فى استعمال اللغة وليدة العصر " فقد تحدث اللغويون منذ القديم عن عنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وعجرفية ضبّة وقطعة طئ ، وعجعجة وغمغمتها ، وتلتلة بهراء ، وطمطمانية حمير ، واستنطاء أهل اليمن ووتمهم وشنشنتهم ، ولخلخانية أهل العراق وتضجع قيس ، وفشفشة تغلب ، وفحفحة هذيل "[٣] وعن ذلك تقول الدكتورة "بنت الشاطى " لكل لغة حية فى عصرنا لهجاتها المحلية التى تختلف باختلاف الأقاليم ، والعربية نفسها قد كان فيها أيام عزها وأصالتها ، لهجات محلية للقبائل ، ولم تمنع ما يشبه الوحدة اللغوية فى المجال الأدبى ، ولم تحل عند نزول القرآن الكريم دون فهمهم لغته العليا ، على اختلاف لهجاتهم ، ..... فقد وجد مثل هذا الاختلاف بين العرب الفصحاء الأصلاء قبل أن يخرجوا من جزيرتهم ، وبقيت آثاره واضحة فى " القراءات السبع " يؤدى فيها الواحد بطرق عدّة يحتملها رسمه"[٤].
واللغويون القدامى عرفوا اللهجات المختلفة وأشاروا إليها وسجلوا بعضها فهذا ابن فارس يقول " وإن كنا نعلم أن القرآن نزل بأفصح اللغات ، فلسنا

---

[١]- كتاب سيبويه ٤ / ٤٣٢ تحقيق عبد السلام محمد هارون نشر مكتبة الخانجى بمصر سنة ١٩٨٢.
[٢]- اللغة وبناء الذات ص ٧٣ .
[٣]- السابق ص ٨١ .
[٤]- لغتنا والحياة ص ٢٠٦ .

ننكر أن تكون لكل قوم لغة "[١] ويوضح فى موضع آخر بأن هذا الاختلاف بين اللهجات قد شاع وانتشر وتعاورته القبائل حيث يقول " وهى وإن كانت لقوم دون قوم ، فإنها لما انتشرت تعاورها كلٌّ "[٢] ويقول المقدسى " جميع لغات العرب موجودة فى بوادى هذه الجزيرة إلا أن أصحها لغة هذيل ثم النجديين ثم بقية الحجاز ، إلا الاحقاف فإن لسانهم وحش "[٣].

ويقول ابن خلدون " اعلم أن علم التخاطب فى الأمصار وبين الحضر ليس بلغة مضر القديمة "[٤] وهذه اللهجات المتعددة لم تحل دون أن يفهم المتحدثون بالعربية بعضهم بعضاً ، وعن ذلك يقول " يوهان فك " لم تكن لهجات القبائل البدوية بالجزيرة العربية بعيدة الاختلاف من الوجهة اللغوية بحيث لا يمكن التفاهم ، حتى بين القبائل المتباعدة بعضها بعض فى والجوار ، إذ إن أغلب الفروق – فيما يظهر – كانت فى الأصوات والأبنية والمعانى "[٥] وهذا القرب بين اللهجات المختلفة هو الذى مكّن القرشيين من أن تكون لهجتهم هى اللغة الفصحى إذ يقول ابن فارس " وكانت قريش – مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها – إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب ، ألا ترى أنك لا تجد فى كلامهم عنعنة تميم ، ولا عجرفية قيس ، ولا كشكشة أسد ، ولا كسكسة ربيعة ، ولا الكسر الذى تسمعه من أسد وقيس مثل " تِعلمون ، و " نِعلم " ومثل شِعير وبِعير "[٦] وهذا الذى صنعه القرشيون يدفع للأمل على أن إصلاح اللغة وتهذيبها أمر

---

[١]- الصاحبى لابن فارس ص ٣٨ .

[٢]- السابق ص ٣١ .

[٣]- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى ص ٩٧ طبع دار صادر بيروت – مطبعة بريل المسيحية سنة١٩٠٦م.

[٤]- مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٨.

[٥]- العربية دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب " يوهان فك " ص ١٨ ترجمة د / رمضان عبد التواب نشر مكتبة الخانجى بمصر سنة ١٩٨٠م .

[٦]- الصاحبى ص ٣٣ – ٣٤ .

ممكن إذا توفرت السُّبل ، وتمَّ العزم وكانت الإرادة قوية ، وأعنى بالإرادة الفرد والمجتمع والقوى السياسية .

العوامل التى ساعدت فى الازدواج :

اللغويون يرون أن ظهور اللحن وضعف اللغة أثر من أثار اختلاط العرب بغيرهم من العجم فهذا أبو بكر الزبيدى يقول " ولم تزل العرب تنطق على سجيتها فى صدر إسلامها وماضى جاهليتها ، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجاً ، وأقبلوا إليه أرسالاً ، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة ، واللغات المختلفة ، ففشا الفساد فى اللغة العربية واستبان منه فى الإعراب الذى هو حليها ، والموضح لمعانيها "[١] ويقول قدامة بن جعفر " وربما اغتفر فى دهرنا هذا اللحن والخطأ للإنسان فى كلامه ؛ لكثرة اللحن فى الناس وأنه قد فشا وعظم وفسدت الفصاحة بمخالطة الأعاجم والأقباط وسائر الأجناس ، فأما فى الكتاب فغير مفتفر له ذلك ؛ الطرف يتكرر نظره فيه ، والروية تجول فى إصلاحه ، وليس كمثل الكلام الذى يجرى أكثره على غير روية ولا فكرة "[٢] ويقول ابن مكى الصقلى " فلما تمت الحجة ، ووضحت المحجة ، فجم الفساد على اللسان ، وخالطت الإساءة الإحسان ، ودُخلت لغة العرب ، فلم تزل كل يوم تنهدم أركانها ، وتموت فرسانها ، حتى استبيح حريمها ، وهجّن صميمها ، وعفت آثارها ، وطفئت أنوارها ، وصار كثير من الناس يخطئون وهم يحسبون أنهم مصيبون ، وكثير من العامة يصيبون وهم لا يشعرون .... وتساوى الناس فى الخطأ واللحن إلا قليلاً "[٣].

ويقول ابن خلدون " فلما جاء الإسلام ، وفارقوا الحجاز لطلب الملك ، الذى كان فى أيدى الأمم والدول ، وخالطوا العجم ، تغيّرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التى للمتعربين من العجم ، والسمع أبو الملكات

---

[٢]- طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزبيدى ص ١١تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣م.

[٢]- نقد النثر لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب ص ١٤٣ – ١٤٤ طبع دار الكتب العلمية – لبنان سنة ١٩٩٥ .

[٣]- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكى الصقلى ص ٤٣ تحقيق د / عبد العزيز مطر دار المعارف بمصر سنة ١٩٨١م.

اللسانية ، ففسدت بما ألقى إليها السمع من الخالفات التى للمتعربين من العجم ، والسمع أبو الملكات اللسانية ، ففسدت بما أتقى إليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتبار السمع "[١] ويؤكد ابن خلدون أن فصاحة لغة قريش نتجت لبعد القرشيين عن بلاد الأعاجم ولهذا لم يخالطوهم فتفسد ألسنتهم حيث يقول " ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ، ثم من اكتنفهم من ثقيف ، وهذيل ، وخزاعة ، وبنى كنانة ، وغطفان ، وبنى أسد ، وبنى تميم ، وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة ، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم "[٢] ولهذا يوضح ابن خلدون بأنه كلما خالط الإنسان بلغته لغة أخرى فإن انحرافه يكون بقدر هذه المخالطة ، وهذا الذى لم ينجو منه قطر من الأقطار التى فتحها الإسلام وعن ذلك يقول " فعلى مقدار ما يسمعونه من العجمة ويربون عليه يبعدون عن الملكة الأولى ، واعتبر ذلك فى أمصار إفريقية والمغرب والأندلس والمشرق ، أما افريقية والمغرب ، فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم لوفور عمرانها بهم ، ولم يكد يخلو عنهم مصر ولا جيل ، فغلبت العجمة فيها على اللسان العربى الذى كان لهم ، وصارت لغة أخرى ممتزجة ، والعجمة فيها أغلب لما ذكرناه ، فهى عن اللسان الأول أبعد ، وكذا المشرق لما غلب العرب على أممه من فارس والترك فخالطوهم ، وتداولت بينهم لغاتهم فى الأكَرة[٣] ، والفلاحين ، والسبى الذى اتخذوهم خولاً[٤] ، ودايات ، وأظآراً [٥]، ومراضع ، ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتى انقلبت لغة أخرى ، وكذا أهل الأندلس من عجم الجلالقة ، والافرنجة ، وصار أهل الأمصار كلهم من هذه الأقاليم

---

[١]- مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٦.
[٢]- السابق ص ٥٥٥ .
[٣]- الأكرة : جمع أكار وهو الحرَّاث .
[٤]- الخول : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية . اللسان " خ و ل "
[٥]- الأظآر : جميع ظئر وهى المرضعة لغير ولدها . اللسان " ظ أ ر "

أهل لغة أخرى مخصوصة بهم ، تخالف لغة مضر ، ويخالف أيضاً بعضها بعضاً ، وكأنها لغة أخرى لاستحكام ملكتها فى أجيالهم [١] " ويؤكد هذا الصولى من خلال مناظرة بين عربى وفارسى إذ يقول " ناظر فارسى عربياً بين يدى يحيى بن خالد البرمكى فقال الفارسى : ما اجتجنا إليكم قط فى عمل ولا تسمية ، ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا فى أعمالكم ولا لغتكم ، حتى إن طبيخكم وأشربتكم ودواوينكم وما فيها على ما سميناه ما غيرتموه .... فسكت عنه العربى ، فقال له يحي بن خالد ، قل له : اصبر لنا نملك كما ملكتم ألف سنة بعد ألف سنة كانت قبلها، لا نحتاج إليكم ولا إلى شئ كان لكم "[٢] ، ولم يكن عالمنا الذى نعيش فيه ببعيد عما حدث بالأمس البعيد فهذا باحث يعزو الضعف فى لغتنا اليوم إلى سيطرة المستعمر على بلاد العرب ردحاً من الزمن حيث يقول " إن جذور الضعف اللغوى فى عالم عرب القرن الواحد والعشرين الميلادى " الخامس عشر الهجرى " تعود بشكل أو بآخر إلى ما دار وتمخض على مسرح السياسة العالمية منذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا "[٣] ويؤكد هذا باحث آخر بقوله " يمكن تلخيص هذه الأسباب فى الانهزامية التى سادت الأمة أن وطئت أقدام المحتل أرض العرب ، حيث خطط من أول وهلة لإضعاف العربية أمام لغته ، وعقد لذلك مؤتمرات ، وخرجت منها قرارات وتوصيات "[٤] مع أن هذه الانهزامية ، والضعف اللغوى لم يصب أجدادنا العرب قبل الإسلام ضد الرومان واليونان والفرس ، بل جاهدوا عقائد وثقافة ولغة الآخر ، وعن ذلك تقول بنت الشاطئ " بقيت لغات الغزاة وثقافاتهم وعقائدهم المفروضة بالإكراه ، لغة دواوين ، وثقافة دخيل ،

---

[١]- مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٨.

[٢]- أدب الكتّاب لأبى بكر محمد بن يحى الصولى ص ١٩٣ تحقيق محمد بهجة الأثرى نشر دار الباز للطباعة والنشر.

[٣]- مجلة الدراسات اللغوية مجلة تصدر من مركز – الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية المجلد السابع – العدد الثانى ص ٢٠٠ ربيع الآخر – جمادى الآخرة سنة ١٤٢٦هـ .

[٤]- التبيان مجلة تصدرها الجمعية الشرعية بمصر العدد الثالث والثمانون ص ٤٤ عدد جمادى الآخرة سنة ١٤٣٢هـ.

وعقائد مستعمر ، يرتهن بقاؤها بما يحميها من سلطة الحكام وجبـــروتهم ، وتواجهها الشعوب بالتحدى الذى يتمثل فى الإصرار على التعامل بلســـانها القومى خارج الحدود الرسمية ، وبالرفض الذى يتمثل فى تمسكها بعقائدها وتقاليدها وأعرافها ، ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً "[١].

التغيرات التى طرأت على الفصحى وأثرها :

من النصوص التى وردت فى كتب اللغويين نرى أن التغيرات قد حـــدثت استبدال الحروف ، والأخطاء النحوية ، وفساد الأسلوب ، فمـــا ورد مـــن استبدال الحروف " كان رجل بالبصرة له جارية تسمى " ظمياء " فكان إذا دعاها قال : يا "ضمياء" بالضاد ، فقال له ابن المقفع : قـــل يـــا ظميـــاء ، فناداها : يا ضمياء ، فلما غيَّر عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثاً ، قال : هى جاريتى أو جارتيك ؟ "[٢] ، ومنه " قال : فيل مولى زياد لزيـــاد : أهـــدوا الناهمار وهش ، فقال ما تقول ؟ ويلك ! فقال : أهدوا لنا أيراً فقال زيـــاد : الأول خير "[٣] يريد فى الأولى أهدوا لنا حمار وحش فأبدل بالحـــاء هـــاء وفى الثانية أهدوا لنا عيراً ، فأبدل العين همزة ، وقال الميسانى فى هجائه أهل المدينة "

ولحنكم بتقصير ومدّ .. وألأم من يدب على العفار[٤]

ومن الأخطاء النحوية " دخل رجل على زياد فقال : إن أبينا هلـــك ، وإن أخينا غضصبنا على ميراثنا من أبانا " فقال زياد : ما ضيعت من نفســـك أكثر مما ضاع من مالك .

قال الرياشى عن محمد بن سلام عن يونس قال : بلال لشبيب بـــن شـــيبة يستعدى على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر قال : احضرنيه ، قال : قد دعوته لكُلُّ ذلك يأبى ؛ برفع كلّ ، قال بلال : فالذنب لكل "[٥] ومن ذلك " قال بشر ابن مروان ، وعنده عمر بن عبد العزيز لغـــلام لـــه : ادع لـــى

---

[١]- لغتنا والحياة ص ١٤ .

[٢]- البيان والتبيين للجاحظ ص ٣١٩ تحقيق فوزى عطوى طبع دار صعب – لبنان سنة ١٩٨٦م .

[٣]- عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ / ١٧٥ طبع دار الكتب العلمية – لبنان .

[٤]- البيان والتبيين ص ٣٢١ .

[٥]- عيون الأخبار ٢ / ١٧٤ .

، فقال الغلام " يا صالحاً " فقال له بشر : ألف منها ألف . فقال له عمر : وأنت فزدخ ألفك ألفاً "[١].

وفى الأسلوب " قال الحجاج لرجل من العجم نخاس " أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان فقال : " شريكاتنا فى هوازها ، وشريكاتنا فى مداينها ، وكما تجئ تكون " فقال الحجاج : ما تقول ؟ ففسروا له ذلك ، فضحك وكان لا يضحك"[٢]. وهو يريد أن يقول " شركاؤنا فى الأهوار والمدائن يرسلون إلينا بهذه الدواب ونحن نبيعها على حالها " ، وفى هذه النصوص نرى أن السامع للحن لا يسكت عليه أو يجاريه ، بل يقوّمه أو ينهر عليه ؛ لأنه يخالف لغتهم ، وهذا يؤثر فى سمعهم بل يؤذيهم سماع اللحن ، وقد " قال مسلمة بن عبد الملك : اللحن فى الكلام أقبح من الجدرى فى الوجه ، وقال عبد الملك : اللحن فى الكلام أقبح من التفتيق فى الثوب النفيس ، قال أبو الأسود : إنى لأجد للّحن غمزاً كغمز اللحم "[٣] ، وقد ورد عنهم التسكين خوف اللحن " كان مهدى بن مهلهل يقول : حدثنا هشام . مجزومة ، ثم يقول : ابن ، ويجزمه ، ثم يقول : حسان . ويجزمه ؛ لأنه حين لم يكن نحوياً رأى أن السلامة فى الوقف "[٤] وفى القرن السادس سطر ابن الجوزى فى كتابه تقويم اللسان أنواع اللحن فقال " واعلم أن غلط العامة يتنوع : فتارة يضمون المكسور ، وتارة يكسرون المضموم ، وتارة يمدون المقصور ، وتارة يقصرون الممدود ، وتارة يشددون المخفف ، وتارة يخففون المشدد ، وتارة يزيدون فى الكلمة ، وتارة ينقصون منها ، وتارة يضعونها فى غير موضعها إلى غير ذلك من الأقسام "[٥] ويصور يوهان فك " التغيرات التى حدثت للفصحى فى لغة التفاهم بين المتعاملين باللغة حيث يقول " وقد استعانت لغة التفاهم المذكورة بأبسط وسائل التعبير اللغوى ، فبسطت المحصول الصوتى ، وصوغ القوالب اللغوية ، ونظام

---

[١]- البيان والتبيين ص ٣١٩ .
[٢]- عيون الأخبار ٢ / ١٧٥ – ١٧٦ .
[٣]- عيون الأخبار ٢ / ١٧٣.
[٤]- البيان والتبيين ص ٣٢٣ .
[٥]- تقويم اللسان لابن الجوزى ص ٥٦ تحقيق د / عبد العزيز مطر طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٧م.

تركيب الجملة ، ومحيط المفردات ، وتنازلت عن التصرف الإعرابى ، واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة وتصريفها ، كما ضحت بالفرق بين الأجناس النحوية ، واكتفت ببعض القواعد القليلة الثابتة عن مواقع الكلمات فى الجملة ، للتعبير عن علاقات التركيب ، وفى اى صورة كانت تصدر هذه اللغة الجديدة "[١] وهذا الذى أورده "فك" من خلال الدراسة فى النصوص القديمة التى جمعها فى عصور اللغة منذ الجاهلية وحتى عصر الدويلات وكذلك العصر الحديث فهذا أحد الباحثين يقول " إن التغيرات التى طرأت على أصوات العربية إنما تدور حول همس الصوت المجهور ، أو العكس ، وإرخاء الصوت الشديد أو العكس ، أو تقدم الصوت فى مخرجه أو تأخره عنه ، أو تحول الصوت المفخم إلى مرقق أو العكس"[٢] وعن الألفاظ والتراكيب والأساليب يقول " فإذا انتقلنا إلى مستوى التغير أو التطور فى الألفاظ والتراكيب أو الأساليب فينبغى أن نعلم أن ظواهر هذا المجال أكثر من أن تحصى ، وأغلبها ناشئ عن تأثر العربية بغيرها من اللغات الحية عن طريق الترجمة أو التعريب "[٣] وقد أشار الدكتور عبد العزيز مطر فى دراسته لكتب اللحن إلى إبدال الأصوات حيث يقول : وفى كتب لحن العامة كثير من الكلمات التى نبّه المؤلفون على خطئها ، وعند التحقيق يتبين أن ثمة صلة صوتية طبيعية بين الكلمات الأصلية وبديلتها الملحونة ، وأن القوانين الصوتية تجيز ما حدث فيها من تطور نتيجة لقرب المخرج ، أو الاشتراك فى الصفة "[٤] وقد ضرب لذلك أمثلة عديدة شملت حروف الهجاء جميعاً جمعها من كتب اللحن [٥]، وأورد الدكتور على عبد الواحد وافى التبادل بين حروف اللين وبينَّ أثره على اللغة الفصحى حيث يقول " ما حدث فى اللغة العربية بصدد أصوات اللين القصيرة (والمسماة

---

[١]- العربية دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب ص ٢٠ .

[٢]- العربية لغة العلوم والتقنية د / عبد الصبور شاهين ص ٤٩ طبع دار الاعتصام بالقاهرة سنة ١٩٨٦م.

[٣]- السابق ص ٥٢ .

[٤]- لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة د / عبد العزيز مطر ص ٢٢٠ طبع دار الكتاب العربى بالقاهرة سنة ١٩٦٧م.

[٥]- السابق ص ٢٢٠- ٢٤٢.

بالحركات وهى الفتحة والكسرة والضمة) التى تلحق أواخر الكلمات . ففى جميع اللهجات العامية المنشعبة على العربية (عاميات مصر والسودان ، والعراق ، والشام ، ولبنان ، وفلسطين ، والحجاز ، واليمن ، والمغرب .... الخ) قد انقرضت هذه الأصوات جميعها ، سواء فى ذلك ما كان منها علامة إعراب ، وما كان منها حركة بناء ، فينطق الآن فى هذه اللهجات بجميع الكلمات مسكنة الأواخر فيقال مثلاً : " رجعْ عمرْ للمدرسةْ بعدْ ما خفْ من عياه " بدلاً من " رجعَ عمرُ إلى المدرسةِ بعدَ ما خفَّ من إعيائه" . ولعل هذا هو أكبر انقلاب حدث فى اللغة العربية ، فقد أتى جميع الكلمات فانتقصها من أطرافها ، وجردها من العلامات الدالة على وظائفها فى الجملة ، وقلب قواعدها رأساً على عقب "[١] ويوضح الأثر من هذا الانقلاب فيقول " وقد أحدث سقوط الأصوات اللينة والساكنة الواقعة فى أواخر الألفاظ انقلاباً كبيراً فى عالم اللغات ، فقد كان من آثاره انقراض طريقة الإعراب ، فى كثير من اللغات التى كانت تسير عليها كالعربية واللاتينية وما إليها "[٢] ويعلل الدكتور رمضان عبد التواب لبعض هذه الظواهر بأنه من قبيل مظاهر السهولة والتيسير فى اللغة حيث يقول " اندثار الأصوات الأسنانية فى العربية هى الذال والثاء ، والظاء ، وهى التى تتطلب إخراج طرف اللسان ، ووضعه بين الأسنان عند النطق بها ، ولا شك أن ذلك جهد عضلى تخلصت منه لغة الكلام بنقل المخرج إلى ما وراء الأسنان ، أما الذال فقد حلّ محلها الدال فى مثل " دَهَب " بدلاً من " ذَهَب " أو الزاى فى مثل كلمة " زكْر " بدلاً من " ذِكْر" و " زُلّ " بدلاً من " ذُلّ" وأما الثاء فقد حل محلها التاء فى مثل كلمة "توب" بدلاً من "ثوب" أو السين فى مثل "سابت" من " ثابت " وأما الظاء فقد حلّ محلها الضاد فى مثل " ضِلّ " بدلاً من " ظِلّ " أو الزاى المفخمة " زَهَر " بدلاً من " ظهر " وغير ذلك "[٣] وعن التخلص من التفريعات عن طريق ظاهرة السهولة فى

---

[١]- علم اللغة د / على عبد الواحد وافى ص ٣٠٢طبع دار نهضة مصر .
[٢]- علم اللغة د / على عبد الواحد وافى ص ٣٠٥ .
[٣]- التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه د / رمضان عبد التواب ص ٥٢ – ٥٣ نشر مكتبة الخانجى بمصر سنة ١٩٨٣م.

علامات التأنيث يقول " نعرف أن العربية الفصحى تملك ثلاث علامات هى التاء ، والألف المقصورة ، والألف الممدودة، كما نلاحظ أن العلامتين الثانية والثالثة ، قد ضاعتا فى اللهجات العربية الحديثة ، وحلّت محلهما العلامة الأولى ، وهى التاء فنحن نقول فى " حمراء ، وبيضاء ، وصحراء ، وعمياء ، وميناء ، وعوجاء " "حمره ، وبيضه ، وصحره ، وعميه ، ومينه، وعرجه " كما نقول فى " حبلى ، وسلمى ، وخُبَّازى ، وعدوى وفتوى " حِبْلة ، وسَلمه ، وخُبّيزة ، وعَدْوه ، وفَتْوه "[١] وكذلك يعلل ظاهرة القلب المكانى بقوله " والقلب المكانى ، وهو عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض ، لصعوبة تتابعها الأصلى على الذوق ، وهو ظاهرة يمكن تعليلها بنظرية السهولة والتيسير كذلك "[٢].

هذه التغيرات التى تصيب اللغة – أى لغة – فى الأصوات والبنية والدلالة . ليست محدودة بزمن أو مكان بل " إن اللغة تنتقل من جيل إلى آخر على فترات تتخللها تغيرات وانحرافات دائمة ، وهذه الحقيقة ذاتها تؤدى على المرونة فى الاستعمال اللغوى ، وإلى عدم ثبات الظواهر أكثر من أى عامل آخر "[٣] ، ولكن مع هذا الإيمان الكامل بالتطور فى اللغة فى كل عناصرها ينبغى على الحريصين على اللغة أن يجعلوا من هذا التطور ما يعمل على سعة اللغة وتنقيتها من كل ما يشوب عظمتها إلى التشرزم والتفكك بحيث لا يفهم أبناء الأمة بعضهم بعضاً ، وقد أصبح واضحاً أن دور اللغة لا يقف عند قضاء مصالح القوم بل يتعداه إلى ، فلابد من إصلاح اللغة وتهذيبها يقول " أولمان " " ما دامت الكلمات تتداخل هكذا مع الأفكار ، وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً بحيث يتعذر عزل أحدهما عن الآخر ، فلا مناص من أن تؤثر الكلمات فى الأفكار إلى حد "[٤] ويقول الدكتور وافى " وخصائص الأمة العقلية ، ومميزاتها فى الإدراك والوجدان والنزوع ، ومدى ثقافتها ، ومستوى تفكيرها ومنهجه ،

---

[١]– التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه د / رمضان عبد التواب ص ٥٥– ٥٦ نشر مكتبة الخانجى بمصر سنة ١٩٨٣م.

[٢]– السابق ص ٥٧ .

[٣]– دور الكلمة فى اللغة ص ١٨٠ .

[٤]– السابق ص ٢٣٠.

وتفسيرها لظواهر الكون ، وفهمها لما وراء الطبيعة ، كل ذلك ومـــا إليـــه ينبعث كذلك صداه فى لغتها "[١] وعلى ذلك " لا يمكن تصور الانفصال بين هاتين الحقيقتين : الفكر – بغير لغة – خـــواطر مســـتوردة أو هجســـات مخبوءة لا جدوى منها ولا قيمة لها "[٢] "ولا نشك فى أن ازدواجية اللغـــة تعوق الفكر ، ولا سيما عند الأولاد ، فإنهم يلقنون بلغـــة غيـــر لغـــتهم ، ويقرأون فى كتب لغتها مغايرة للغتهم ، وهذه كتب التدريس عندنا شـــاهدة على صحة دعوانا ، هؤلاء هم أطفالنا يعانون من تعلم الفصحى أكثر ممـــا يعانونه من تعلم لغة أجنبية ، فى حالة كهذه يركد الفكر عوضـــاً عـــن أن ينشط "[٣] ولهذا لابد من ممارسة اللغة نطقاً وكتابة ودراســـة " لأن اللغـــة منطوقة ومكتوبة ، هى الغاية من كل ما نعلّم ، وهى لا تكتســـب بـــالتعليم بقدر ما تكتسب بالممارسة والمحاكاة"[٤].

ولذلك وصف اللغويون المحدثون هذا الازدواج بأنه عقدة تؤثر فى النمـــو والتطور " اتسعت الفرقة بين لغة يتكلم بها العربى ولغة يكتب بها ، حتـــى صار الأمر عقدة قيّدت أهل هذه اللغة الشريفة فعوقت نموها وتطورهـــا"[٥] وقد وصف بعضهم هذه العقدة بأنها وصلت إلى القطيعة فى فهـــم التـــراث المشترك أو فهم بعضهم بعضاً حيث يقول " الدارجات تغرقهم فى قطيعـــة تراثهم المشترك بحيث كلما انتقلوا من مكان عاميتهم إلـــى مكـــان عاميـــة شعروا بانفصال مرير . إن العاميات والدارجات تغرقنا فـــى اللاتفـــاهم ، يستفيد المصرى الأمى والمثقف على السواء من أخيه المغربى عندما يقول له " الخَوْهَدْ لُولِيَا طَلْعَتْلى زَعَفْ"؟ وماذا يستفيد المغربى كيـــف مـــا كـــان مستواه عندما يسمع شقيقة ابن الكنانة يقـــول " أنـــا عـــايز أوط زى ده "

---

[١]– علم اللغة ص ٢٦٤.

[٢]– اللغة الباسلة د / فتحى جمعة ص ١٢٥ نشر دار النصر للتوزيع بالقاهرة سنة ٢٠٠٤م.

[٣]– اللهجات وأسلوب دراستها د / أنيس فريحة ص ٢٥ طبع دار الجيل – بيروت سنة ١٩٨٩م .

[٤]– مقالات فى العربية د / مازن المبارك ص ٨٠ – ٨١ طبع دار البشائر – دمشق سنة ١٩٩٩م.

[٥]– ألفاظ عامية فصيحة د / محمد داود التنير ص ١٨ طبع دار الشروق – لبنان سنة ١٩٨٧م.

؟ ...انفصام يزداد مع الأيام وتعمقه وتعقده الصحافة المسموعة والمرئية وكذلك السينما ولغة الأغانى"[١]. وقد أجمل الرومى عيب البعد عن الفصحى بقوله " فاللحن كلال الكلام ودليل القصور فى الهمم والأفهام "[٢] ولا شك أن هذا الازدواج نتيجة الضعف اللغوى وعن ذلك يقول عبد الرحمن القعود " وأسبق ما يتبادر إلى الذهن من هذه الأثار هو دور الازدواج اللغوى فى ضعف المستوى اللغوى . فالعامية تُكتسب قبل الفصيحة التى يتعلمها الطفل تعلماً بعد أن تكون العامية قد شكلت البرنامج اللغوى فى دماغة"[٣].

الجهود اللغوية فى تنقية الفصحى :

لم يقف العرب جامدين أمام النَّيْل من لغتهم بل صححوا الخطأ فى أصواتها وبنيتها وتراكيبها ودلالاتها فرادى وجماعات فى المواقف العلمية وفى ساحات التعامل والأسواق ، وسهر الأوائل على جميع اللغة وشرح وترتيب موادها فى المعاجم حتى يصل إليها الباحثون والذين يريدون معنى ، أو اختيار لفظ لمعنى يبتغيه ، ولا شك أن تصحيح النبى صلى الله عليه وسلم لمن أخطأ فى اللغة وقال لأصحابه " أرشدوا أخاكم فقد ضلّ " ، وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأطفال الذين نصحهم أن يسددوا رميهم ، ويتقنوا فنون الرمى ، فلما أجابوه أخطأوا فى لغتهم فقال : خطؤكم فى لغتكم أشد علىَّ من خطئكم فى رميكم ، هو دليل على تقويم الخطأ فى اللغة ، ويدفع الآخرين على العمل به ؛ يقول ابن تيمية رحمه الله : "اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " [٤] ، وورد عن عمر رضى الله عنه " تعلموا العربية فإنها من دينكم فاللسان العربى شعار الإسلام وأهله ، واللغات من أعظم شعائر الأمم التى بها

---

[١]- المنهل – مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة العدد ٤٤١ ربيع الأول والثانى سنة ١٤٠٦هـ. مقال " اللسان العربى إلى أين " لمحمد عزيز الحبابى ص ٧٥ .

[٢]- كتاب التنبيه على غلط الجاهل والنبيه للعلامة أحمد بن سليمان الرومى ص ٤٥ تحقيق د/ جمال محمد عبد الكريم المهدى طبع التركى بطنطا – مصر سنة ٢٠٠٤م .

[٣]- الازدواج اللغوى ص ٣٤ .

[٤]- اللغة الخالدة تأليف أمين الله عيروض ص ١٤ مطبعة الشرق – حلب – سوريا .

يتميزون"[١] وكذلك النصوص التى مرَّ ذكرها التى يتضح منها استنكار الخطأ والعمل على تصحيحه ، وبيان أن اللحن فى اللغة كالمرض المعدى فى الجسد ، والعيب اللافت فى الثوب الثمين ولمّا كثر اللحن وخاف العلماء على اللغة من أن تضيع أو تذوب فى اللغات التى دخل أصحابها فى دين أفواجاً . فخرجوا إلى البوادى يجمعون اللغة فى كراريس من أفواه الخُلّص ، والتى عرفت بالرسائل الخاصة وهى التى كانت النواة الأولى للمعجمات العربية بأنواعها المختلفة ، ثم استنبطوا من هذه النصوص والألفاظ والاستخدامات العربية ، القواعد والقوانين التى عُرفت فيما بعد بعلم النحو وعن ذلك يقول ابن خلدون " وخشى أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ، ويطول العهد بها ، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم ، فاستنبط من مجارى كلامهم قوانين لتلك الملكة مطّردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ، ويلحقون الأشباه بالأشباه ، مثل إن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب ، والمبتدأ مرفوع ، ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعراباً وتسمية الموجب لذلك التغيّر عاملاً وأمثال ذلك ، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة ، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو ، وأول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلى .... إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد ... وأخذها عنه سيبويه ... وضع فيها كتابه المشهور الذى صار إماماً لكل ما كُتب فيها من بعده ...ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تأتى الفساد إلى موضوعات الألفاظ ، فاستعمل كثير من كلام العرب فى غير موضوعه عندهم ميلاً مع هجنة المتعربين فى اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية ، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس ، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، فشمرَّ كثير من أئمة اللسان لذلك ، وأملوا فيه الدواوين ، وكان سابق الحلبة فى ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدى ألّف فيها كتاب العين ... وألّف الجوهرى من المشارقة كتاب الصحاح ... ثم ألف فيها من الأندلس ابن سيدة ... ولكراع من أئمة اللغة كتاب المنجد ، ولابن

---

[١]- السابق ص ١٥ .

دريد كتاب الجمهرة ، ولابن الأنبارى كتاب الزاهر"[١] " ولا شك أن لمثل هذه المؤلفات اللغوية ما لايخفى من أثر جلى فى تثبيت اللغة العربية وحسم الصراع لصالحها برسم الطريق السليم أمام المتعلمين والدارسين ، وردهم إلى الصحيح ، وبحفظ الثروة اللفظية وتيسير استعمالها والوصول إليها "[٢] وهؤلاء العلماء الأفذاذ بذلوا كل غال وثمين من أجل الحفاظ على لغتهم من مختلف المواطن والأمصار . وصدقت بنت الشاطئ إذ تقول " وذكرت فيما ذكرت هذه اللغة المشتركة لسان عربيتنا ، ومناط وحدتنا الفكرية والذوقية ، فتراءات لى من وراء الحقب والأدهار ، وأطياف أجداد لنا أنفقوا أعمارهم فى خدمة هذه اللغة ، وبذلوا حياتهم لحمايتها فى مهب الأعاصير ، ومنحوها نور عيونهم ؛ لكى يضيئوا لها مسراها فى ليلنا الطويل ، من هؤلاء الجنود الفدائيين : الشامى ، والعراقى ، والحجازى ، والنجدى ، واليمنى ، والمصرى ، والمغربى ، والأندلسى ، شهدتهم العصور والأجيال"[٣].

ولم تقف المؤلفات عند وضع القواعد الكلية للغة ، أو جمعها وترتيبها فى المعجمات بشكل يسهل الوصول إليه ، بل شدوا الأزر لمتابعة الاستعمال اليومى ورصد الخطأ وبيان الصحيح فيه ، أو تأكيد فصاحة اللفظ المستخدم والعمل على دعمه ليأخذ دوره فى الاستخدام وهذه الكتب عرفت بكتب التصحيح اللغوى فقد جمع الدكتور عبد العزيز مطر فى كتابه " لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة " أربعاً وثلاثين مؤلفاً تبدأ بكتاب لحن العوام المنسوب لعلى بن حمزة الكسائى (ت ١٨٩هـ) حتى كتاب " اللسان لعبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى (ت ٥٩٧هـ) أى من القرن الثانى حتى نهاية القرن السادس الهجرى ، وإن مؤلفات هذا النوع قد فاقت غيرها من العلوم الأخرى للخوف على العربية من التحريف " حركة التصحيح اللغوى المبتدئة بأول تنبيه على أقدم لحن عربى والممتدة إلى يوم الناس هذا ، والتى صورت مدى التحريف الذى أصاب العاميات

---

[١]- المقدمة ص ٥٤٦ – ٥٤٩.

[٢]- فى علم اللغة التاريخى د / البدراوى زهران ص ٣٥ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٨١م.

[٣]- لغتنا والحياة ص ٢٠١.

العربية المشتتة مادة ومكاناً وزماناً ، ومظاهر التبدل الدالة على بون ما بين هذه الأشياء والأصل الفصيح ، لقد بلغت هذه المؤلفات حدّاً من الكثرة جعلها صنفاً خاصاً قد فاق التأليف فى بعض العلوم "[١] " لقد حاول الدكتور رمضان عبد التواب جمع تلك القوائم ، ثم صحح أوهامها ، وخلص إلى دراسة قائمة منتقاه قوامها اثنان وخمسون كتاباً منها ما وصل إلينا كاملاً بين مخطوط ومطبوع ومنها ما وصلت منه نصوص متفرقة فى المظان "[٢] ولهذا يقول الدكتور محمد العدنانى فى صدر كتابه " معجم الأغلاط العربية المعاصرة" بعد كتابه " معجم الأخطاء الشائعة " " أنا لست سوى حلقة صغيرة فى سلسلة كبيرة وطويلة من رجال ، نذروا نفوسهم لخدمة لغتهم وتصحيح ما يجرى على ألسنة الناس من أخطاء لغوية ، حبّاً فى إبقاء الحياة متدفقة بقوى فى شرايين الضاد ، ومحاسبة من يلحن فيها ، أو يحاول الحطَّ من شأنها محاسبة عسيرة ، لأن الإساءة إلى لغتنا هى إساءة إلى قوميتنا وعربيتنا "[٣]ولم يقف التصحيح على جهد الأفراد والعلماء بل امتد إلى المؤسسات العلمية فمجامع اللغة العربية فى مصر ، وسورية ، والعراق ، والأردن والمكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية بالرباط ، قد حددت لجاناً مختصة بمتابعة الجديد من اللغة وتقويمه ، فضلا عن رصد الأخطاء المتداولة وتصحيحها ، فعلى سبيل المثال فإن مجمع اللغة العربية بالقاهرة أصدر كتابين يحملان عنواناً واحد وهو " اللهجات العربية "الفصحى والعامية " الجزء الأول والجزء الثانى ، الأول يحتوى على سبع وثلاثين وسبعمائة صفحة من القطع الكبير ، والثانى يحتوى على خمس وسبعين وسبعمائة من القطع نفسه، ويوضح جامع هذا العمل من جلسات المجلس منذ إنشائه حتى صدور هذين المجلدين مضمونهما بقوله " وتلك البحوث يجمعها – وإن تفاوتت مناحى

---

[١]– حركة التصحيح اللغوى فى العصر الحديث د / محمد ضارى حمادى ص ١٥ – ١٦ منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية سنة ١٩٨٠م.

[٢]– السابق ص ١٦ .

[٣]– معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة د / محمد العدنانى ص /ز طبع مكتبة لبنان سنة ١٩٨٩م .

المعالجة – خيط واحد ، وهو تركيزها على دراسة اللهجات الحديثة وارتباطها باللغة الفصحى ، ودراستها للتحريفات التى تحدث فى العاميات ، وعلى ما يتخذ من خطوات للتخلص من تلك الثنائية ، من خلال الاستقراء والتسجيل ، وهى إحدى مهامّ المجمع الذى اهتم بإصلاح الخطأ الذى يطرأ على اللغة الأدبية الفصيحة من طريق اللهجات العامية "[1]، وكذلك الدراسات العليا فى الجامعات العربية نشطت مبكراً لهذه القضية فعلى سبيل المثال أطروحه العالمية "الدكتوراه" للدكتور عبد العزيز مطر نوقشت فى كلية دار العلوم سنة أربع وستين وتسعمائة وألف. وعنوانها " لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة " وتولت وزارة الثقافة فى الجمهورية العربية المتحدة طبعها سنة ١٩٦٧م . وكذلك أطروحة العالمية " الدكتوراه " للدكتور أحمد محمد قدور ، وعنوانها " مصنفات اللحن والتثقيف اللغوى حتى القرن العاشر الهجرى " وتولت وزارة الثقافة فى الجمهورية العربية السورية نشرها فى سنة ١٩٩٦م . وأطروحة العالمية " الدكتوراه " للدكتور محمد ضارى حمادى وعنوانها " حركة التصحيح اللغوى فى العصر الحديث من ١٢٢٦هـ – ١٣٩٨هـ " وتولت وزارة الثقافة بالعراق نشرها سنة ١٩٨٠م . وممن شارك فى ذلك المجلات المتخصصة فعلى سبيل المثال مما وقع بين يدىّ مجلة " المنهل " التى تصدر فى المملكة العربية السعودية قد خصصت باباً كاملاً من ص ٥٩– ١٧٠ لموضوعات تعالج الواقع اللغوى وكيفية علاجه وذلك فى العدد ٤٤١ المجلد ٤٧ ربيع الأول والثانى سنة ١٤٠٦هـ " وقد جمع الدكتور أحمد عبد الغفور عطار ابحاثه التى نشرها فى مجلة الفيصل فى كتاب عنوانه " قضايا ومشكلات لغوية " طبع سنة ١٤٠٢هـ نشر الكتاب السعودى . ولم يقف جهد العلماء فى اجترار الماضى وتسجيله وشرحه والقياس عليه وجمعه ، بل نشطوا إلى الواقع المعاش وطبقوا الدراسة على مراحل التعليم وعلى كثير من القطاعات ليسجلوا الأسباب فى ضعف استعمال اللغة . فقد تكلف المجلس العلمى التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "

---

[1]– اللهجات العربية (الفصحى والعامية) عمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة جمع وإعداد ثروت عبد السميع ص ك طبع سنة ٢٠٠٦م.

بدراسة عنوانها " ظاهرة الضعف العام فى استعمال اللغة العربية " وأوردوا أنهم راجعوا فى هذه الدراسة الكثير من دور العلم والمؤسسات العلمية والوزارات ، والمنظمات الدولية ، والرابطات العلمية ، فى داخل المملكة وخارجها وقد بلغت هذه الهيئات خمساً وخمسين هيئة ، خرج من خلالها بأسباب الضعف وكيفية العلاج . وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٤١٢هـ مطبوعات جامعة الإمام . ولو كان الأمر على طريق الجمع للأعمال التى طرقت موضوع الفصحى والعامية والمشكلات التى تواجه اللغة المشتركة من هذا الازدواج ، سواء أكانت أعمالاً فردية عبارة عن كتب ، أو أبواب فى كتب ، أو مقالات فى مجلات ، أبو بحوث فى مؤتمرات علمية ، أو أعمال جماعية لهيئات علمية ، أو مؤسسات غير حكومية ، لاحتاج الأمر إلى مجلدات ولكن أردد مع الأستاذ محمد العدنانى قوله " أنا لست سوى حلقة صغيرة فى سلسلة كبيرة وطويلة من رجال نذروا نفوسهم لخدمة لغتهم ، وتصحيح ما يجرى على ألسنة الناس من أخطاء لغوية ، حبّاً فى إبقاء الحياة متدفقة بقوة فى شرايين الضاد ، ومحاسبة من يلحن فيها "[١]. وأكرر بأن هذه نماذج ولكن لاشك أن الأقطار العربية المختلفة تعايش هذا التغاير بين الفحصى واللهجات المستعملة ، ويرصد الغيورون فيها ذلك التغير ويسجلونه ويردون عليه ، بالطرق المختلفة استنكاراً لهذا الواقع ، والعمل على عودتنا إلى عربيتنا بصفائها ونقائها خالية من التقعر ، أو الانحراف ، أو التنافر فى حروفها أو كلامها .

الواقع اللغوى فى القرن الواحد والعشرين من الميلاد :

إن المطالع للجهود العربية فى تقويم الفصحى ، والحفاظ عليها – والتى أوضحنا جانباً منها – يظن أن هذه الجهود آتت أكلها وكادت أن تقضى اللغُيّات ، واللهجات والعاميات ، وعدنا إلى العربية كسليقة لا نحتاج معها إلى قواعد ، أو قوانين ، إلا أن الواقع على عكس ذلك ، فإننا نشاهد يوماً يوم النعرات التى تنادى بإحياء لهجات أو لغات سيطرت عليها العربية وانضوت تحت رايتها بعد دخول الإسلام ، من ذلك " الأمازرية " المنتشرة

---

[١]– معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة . المقدمة ز .

فى الجزائر والمغرب و" الكردية " المنتشرة فى بلاد العـراق وسـوريا ، وقد انفصل جنوب السودان ولم يقبل أن تكون لغته الرسمية العربية ، وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل إن جريدة صوت الأزهر طالعتنا بعنـوان " تراجع اللغة العربية فى الساحة العالمية "[١] جاء فيـه " أن هيئـة الأمـم المتحدة تفكر جدّيا فى إلغاء اللغة العربية داخل جلساتها ، والسبب فى ذلك أن مندوبى الدول العربية يتحدثون باللغة الإنجليزية ، وفى حالـة حـديثهم بالعربية ينطقون بالعامية ، ومن ثمَّ فلا يسـتطيع المترجمـون الترجمـة ، الرغم من الجهود التى تبذل للحفاظ على الفصحى من الأفراد والمؤسسات العلمية ، إلا أن هذه الجهود لا تجد تفعيلاً فى حيـاة النـاس فيسـتخدمون الفصيح ويتحاشون غيره ولذلك يُعَد عدم الفاعلية داء يحتاج إلى علاج " إن انعدام الفاعلية بلا ريب هو الداء الذى ينخر فى جسـد اللغـة العربيـة ، ومناهج تعليمها ، وآليات فكر ، وطرائق تفكير أهلها "[٢] ويضرب المفكـر الألمانى المسلم " هوفمان" المثال لذلك حيث يقول " إن المدارس والجامعات فى كافة الدول الإسلامية تعانى أداء مستفحلة؛ لأن التدريس فيها لا يـزال خاضعاً خضوعاً كبيراً للتقليد دون انتقاد ، أو هو يقوم على التقليد الذى لا يسمح بالنقد ، وترى ذلك فى سلطة المعلم المطلقة حتى يومنا هذا ، وإجبار التلاميذ والطلاب على الحفظ استظهاراً عن ظهر قلب وإعطاء ذلك أهمية قصوى فى بعض فروع الدراسة "[٣].

وقد أكدت الدراسة التى أعدت فى مركز البحوث بجامعة الإمام ذلك حيـث أوردت " قلة العناية بالتدريبات الشفوية والتحريرية ، ومما لا يختلف فيـه التدريب الشفوى والتحرير عامل لا يستهان به فى تثبيـت القواعـد التـى يتعلمها الطلاب، وفى إكسابهم المهارة اللسانية التى يجعل الفصاحة عندهم قرينة السليقة ، والتهاون فى هذا الجانب يؤدى إلى العئ وعدم الاسـتفادة

---

[١]- جريدة " صوت الأزهر جامعاً وجامعة " جريدة أسبوعية ص ٩ العدد رقم ٦٠٥ الجمعة ٢٦ من جمادى الأول سنة ١٤٣٢هـ الموافق ٢٩ إبريل سنة ٢٠١١.

[٢]- مجلة الدراسات اللغوية تصدر من مركز الملك فيصل بحث للدكتورة خيرية إبراهيم السقاف ص ٢٠٦.

[٣]- السابق ص ٢٠٦ .

مما يُعلَّمون "[١] ولذلك يرى الدكتور حسام الخطيب أن هذا الضعف الواضح فى مؤسسات التعليم لم ينتج عن قلة الساعات التدريسية حيث يقول " ولو حُسَب عدد الساعات المخصصة لتعليم اللغة العربية فى مستويات التعليم المختلفة لكان ينبغى أن يكون الحاصل التربوى مختلفاً جداً ، بل تكفى هذه الساعات لتعليم أعقد المقررات كالفيزياء النووية "[٢] ويرى أن هذا الضعف ناتج عن المجتمع بأكلمة وفى مقدمته أجهزة الإعلام والمثقفون ورجال الكلمة فى المناسبات المختلفة إذ يقول " يضاف إلى ذلك الضعف اللغوى الشامل فى الصحافة ، وأجهزة الإعلام ، والأوساط السياسية ، والمالية ، وكذلك عند المتخصصين العلميين الذين يتبجحون عادة بعدم معرفة لغتهم ، ويؤسف المرء أن يضيف إلى كل ذلك أنه حتى فى أوساط خطباء المساجد ورجال الدين بدأت تظهر بعض مظاهر الضعف اللغوى مع أن الوسط الدينى كان دائماً معقل الإتقان اللغوى"[٣] ولهذا فإن الضعف فى اللغة محصلة لمحيط المتحدث باللغة " ضعف اللغة العربية فى المنزل بلسان الأم ، وفى المدرسة بلسان المعلم والمعلمة ، كما فى الشارع والجامعة يسهم إلى حدٍّ كبير فى إضعاف تحصيل الطالب تعليمياً فى جميع مواد المنهج الدراسى "[٤] يضاف إلى ذلك عدم وجود التخطيط اللغوى الذى يعمل على ضبط اللغة فى أصواتها وبنيتها وإعداد القواميس التى تساعد الكتَّاب والخطباء والصحفيين على إتقان اللغة وان تتبنى الدول العربية كجانب تنفيذى هذه المشاريع ، وليكن ذلك عملاً قومياً يجَرَّم تاركه ، ويجب محاسبة الذين يلحنون فى اللغة بإبعادهم عن الظهور فى أجهزة الإعلام المرئية ، والمسموعة ، ونردد مع أحد أعضاء مجلس النواب الأمريكى " الكونغرس" قال " إننا نصنع القوانين لمعاقبة المجرمين الذين

---

[١]- ظاهرة الضعف العام فى استعمال اللغة العربية دراسة أعدت بإشراف المجلس العلمى فى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص ٣٧ – ٣٨ مطابع جامعة الإمام سنة ١٤١٢هـ .

[٢]- اللغة العربية إضاءات عصرية للدكتور حسام الخطيب ص ١٧- ١٨ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٥م .

[٣]- السابق ص ١٨

[٤]- مجلة الدراسات اللغوية ص ٢٠٩ .

يسرقون ويقتلون ، فلماذا لا نضع القوانين لمعاقبة الذين يفسدون اللغة؟" [١] هذا الواقع الذى رصدناه يوضح أن " هويتنا اللغوية والثقافية هوية مهزوزة يشوبها نوع من التفكك والاضطراب ، وضرب من التنافر والتناقض ، ومن ثمَّ يسوغ لنا أن نقرر أن ليست لنا هوية لغوية وثقافية موحدة ، فاللغة العربية – وأعنى بها اللغة المنطوقة – تعانى من بلبلة الألسن ، وتعدد اللهجات والرطانات ، وكذلك ثقافتنا القومية لم تنج من هذا التفرق والتمزق ، ولم تسلم من الخلط وخلخلة البناء "[٢] لم ينشأ هذا التردى وهذا الضعف فجأة أو فى القرن الواحد والعشرين بل إنه ضعف متراكم " لقد مرت العربية فى القرون الأخيرة بحالة من التردى على ألسنة الخواص – بله العوام – وفى أقلامهم ، حتى أن من كان يعرف الكتابة منهم كان يكتب العامية بالأحرف العربية ، وقد وصف جرجى زيدان لغة علماء مصر فى القرن الثانى عشر الهجرى – الثامن عشر الميلادى ، بأنها تكان تكون عامية قائلاً " فلم ينقض القرن الثامن عشر حتى صارت لغة الكتابة أشبه شئ بلغة العامة لركاكة عبارتها مع ما فيها من الألفاظ الأعجمية والعامية "[٣] وضعف اللغة العربية بين اهلها ، وفى منبع ظهورها وبلوغ مجدها أغرى الآخرين فى التخلى عنها كلياً ، فهذا قس زنجبار يقول بعد إلغاء التعامل باللغة العربية فى زنجبار " إن اللغة العربية لم تعد مستعملة فى غالبية البلدان العربية فى قلب الجزيرة العربية فكيف تريدونها تبقى فى زنجبار؟ [٤]"

" فالعربية إذن مهجورة فى الحياة العامة والخاصة ..... إننا نعيش بلا من كثرة التهاون ، فلا مصطلحات نسقت ، ولا برامج تعليمية وُحّدت ، جرأة على استعمال العربية فى التداول اليومى "[٥] ولهذا فإننى أردد مع الشاعر الحديث جبران محمد قحل قوله :

أنا الفصحى أنوء بمرِّ دائى ** وأبكى فى الصباح وفى المساء

---

[١]- معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة المقدمة ز .
[٢]- مجلة الدراسات اللغوية ص ٢١٧- ٢١٨ .
[٣]- حركة التصحيح اللغوى فى العصر الحديث ص ٢٤ – ٢٥ .
[٤]- الازدواج اللغوى فى اللغة العربية ص ٥١.
[٥]- المنهل مقال لمحمد عزيز الحبابى ص ٧٢ .

وأخشى فى الحياة على مصيرى ** من المرض الخطير على بنائى
يهددنى عـــدوى بيـــن أهلى ** وفى دارى الحصينة بالفنـــاء
عدوى اللحـــن لا أخشـــى سواه ** فإن اللحن يفقـــدنى رُوَائـــى
يمزقنى المذيـــع بفـــرط لحـــن ** فيغضب سيبويه والكســـائى
ويفضحنى المدرس فى دروس ** بلا خجل ويطعن كبريـــائى
أن الفصحى وأيم الحق حيرى ** فكم عانيت من عنت الشقاء [١]

وعلى الرغم من هذه الصور التى تدعو للخوف والقلق على لغتنا الفصحى إلا أن الواقع اللغوى فى اللغات الحية يشهد بانشعاب اللغة إلى لغات يومية بل عدها البعض أنها ضرورة اجتماعية يقول الدكتور البدراوى زهران " انشعاب لغة المحادثة فى المجتمع الواحد إلى لهجات ضرورة اجتماعية بسبب اختلاف طبقات المجتمع ، ويسبب تفاوت الثقافة ومناحى التفكير ، واختلاف حياة الناس داخل أسرهم وتنوع طبقاتهم وما يترتب على ذلك من عادات وتقاليد تنشأ عنها أنماط من السلوك تستجيب لها اللغة "[٢] وتقول ذلك بنت الشاطئ " وجود لغة عليا للفكر والأدب مع لهجات محلية للتعامل ، ظاهرة طبيعية عرفتها العربية من قديمها الجاهلى ، وتعرفها الدنيا فى سائر اللغات الحية "[٣] ويرى بعض الباحثين أن مصير هذه اللهجات إلى التوحد حيث يقول " مصير اللهجات العربية إلى التوحد لا التباعد ، وهو ما تثبته الوقائع باستمرار ،ما تنقله التجارب فى ميدان التعلم والتلقى بدءاً من وسائل الإعلام السمعية والبصرية ومروراً بمجتمع الناس"[٤].

ولذلك يرى محمود تيمور بأن الكأس فى يد الفصحى مهما طال الصراع الفصحى ولهجاتها حيث يقول " ومهما يكن من فى الخلاف فى تقدير بين الأنصار والخصماء ، فالصراع بينها وبين الفصحى واضح المصير ، وليس النَعِيُّ على الفصحى والإفاضة فى مشكلاتها إلا برهاناً ساطعاً على العامية قد أفلست فى محاولة امتلاكها ناصية التعبير الكتابى فى مجال

---

[١]- السابق ص ٦٠ .
[٢]- ظواهر قرآنية فى ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين د / البدراوى زهران ص ٣٠٩ مطبعة النهضة العربية بمصر سنة ٢٠٠٥ م .
[٣]- لغتنا والحياة ص ٩٢ .
[٤]- اللغة وبناء الذات ص ٨٣ .

والفكر ، وأن الكأس فى يد الفصحى ، كأس الغلبة والانتصار ، رضيناها لغة لحياتنا العلمية والأدبية والاجتماعية على اختلاف المناحى والفروع ، وما نعّينا عليها ، وافاضتنا فى تبيان مشكلاتها إلا نزوع عميق إلى إصلاحها، والنهوض بها والسعى إلى تطويعها واستدامة حياتها ، حتى تواتى مطالب العلوم والفنون والآداب ، وتلائم حاجات الحياة فى العصر الحاضر "[١] والذى يدعو إلى التفاؤل وأن العربية محفوظة بحفظ كتاب الله لها ، وهذا واضح فى قول الله تعالى " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "[٢] وأيضاً فإن العربية أضحت صناعة يمكن إتقانها والوصول إلى قواعدها كمن هو ناشئ بين أقرانها بل كأنها سليقة عنده " والحق أن العربية صناعة من عهد بعيد ، وأنها إنما تكتسب بطريق التعليم ، فعلى قدر بهذا المسلك يتحدد حظ الناس من أية لغة لا يسلك إليها بطريق السليقة والطبع "[٣] وعن هذا يقول ابن خلدون " إلا أن اللغات لما كانت ملكات كما مرَّ كان تعلمها ممكناً ، شأن سائر الملكات ، ووجه التعليم لمن يبتغى هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على أساليبهم من القرآن والحديث ، وكلام السلف ، ومخاطبات فحول العرب أسجاعهم وأشعارهم ، وكلمات المولدين أيضاً فى سائر فنونهم ؛ حتى لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولُقّن عن المقاصد منهم"[٤]. ولذلك يقول الأستاذ محمد فزيد أبو حديد بأن ردَّ العامية إلى الفصحى ليس عسيراً حيث يقول " ويستطيع كل منا أن يخلو نفسه ويثبت ما يرد على خاطره من الألفاظ المعروفة المتداولة ، ومنها أن الألفاظ العامية ليست سوى صور من ألفاظ عربية ليس من العسير أن تُصَحَّح ، بل إنه ليس من العسير أن يُرَدَّ إليها اعتبارها ، وتُرفع عنها الوصمة التى لصقت بها على مرِّ القرون "[٥] وإذا كانت العامية تزاحم الفصحى فى الحياة العملية ، وأن ذلك فى اللغات الحية جميعها ، وأراد

---

[١]- مشكلات اللغة العربية تأليف محمود تيمور ص ٨٣ طبع المطبعة النموذجية بمصر .
[٢]- سورة الحجر / ٩.
[٣]- حركة التصحيح اللغوى فى العصر الحديث ص ٢٦ .
[٤]- مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٩.
[٥]- اللهجات العربية والفصحى ٢/٥٩.

كل لغة إصلاح ذلك فلماذا تكون الفصحى هى الداء ؟ فلماذا لا تكون هى الدواء وعن ذلك يقول أحمد عبد العفور عطار " والاختلاف بين الفصحى والعامية تمليه الضرورة أو " الواقعية " التى تُغَالب . وهذا الإملاء الحتمى ليس مرضاً حتى يزعم الزاعمون أن وجود فصحى وعامية فى لغة إنما انفصام لغوى ، أو ازدواجية فى اللغة . وما دام وجود الفصحى والعامية أمراً طبيعياً فليس هو بداء يدفع إلى طلب الدواء والتماس الشفاء ، وإذا مرضاً ، فلماذا يكون الشفاء منه بالتخلص من الفصحى ؟ أكانت هى الداء ؟!! ، لماذا لا يجعلون الدواء الفصحى نفسها ؟ ولماذا لا يعتبرون العامية مرضاً ؟. هنا مربط الفرس كما يقال . إنهم يريدون هدم الفصحى ؛ لأنها القرآن ، والإسلام ، والحديث ومحمد عليه الصلاة والسلام "[١] والتاريخ يؤكد أن الفصحى كَمُلت بعد عاميات كانت شائعة " ثم أيهما أسبق؟ أم العامية ؟ لا شك أن العامية أسبق ؛ لأن الفصحى لغة أقرب إلى التمام انتهت إليه بعد التدرج فى مراحل التطور ، فالفصحى – إذن – اللغة المتطورة الراقية ، والتطور والرقى يتمان دائماً على أيدى الخاصة والأعلياء ، لا العامة والسوقة ، واقتضى الحفاظ على تمام اللغة وضع القواعد التى تعصم اللسان ، والقلم من الخطأ ، وتعودهما البيان والبلاغة "[٢].

علاج الازدواجية :

لقد أوضحنا فيما مرَّ أن التقريب بين الفصحى ولهجاتها ممكن وأن الغلبة للفصحى " منذ الفتوح الإسلامية تكتسح لغات البلدان التى افتتحها المسلمون شرقاً وغرباً ببلاغتها الآخذة . بمجامع القلوب ، واكتسحت الفارسية فى إيران ، والنبطية والآرمية فى العراق ، والسريانية واليونانية فى الشام ، والقبطية واليونانية فى مصر ، والبربرية واللاتينية فى المغرب ، واللاتينية وفرعها من الرومانية فى الأندلس . وكل هذه اللغات قهرتها الفصحى فى جميع تلك الأقطار ، وحلَّت مكانها فى ألسنة سكانها"[٣] فإذا كانت الفصحى

١- قضايا ومشكلات لغوية ص ٨٥.
٢- السابق ص ٨٤ .
٣- اللهجات العربية (الفصحى والعامية) مقالة للدكتور شوقى ضيف ص ١٥١.

قضت على هذه اللغات ، وحلت محلها فى لسان أهلها ، أفلا تستطيع الفصحى أن تقضى وتتغلب على وليد نتج من لُحمتها مشوهاً بأن تعالجه وترده إلى صفوفها ، وقد – أوضحنا من قبل – أن هذه الاختلافات هى انحرافات صوتية أو صرفية ، أو تركيبية ، أو دلالية . ولذلك يرى أحمد مختار عمر أن طرق مقاومة الضعف اللغوى ، وانتشار اللحن ، وطغيان العامية ليست عصية حيث يقول " وطرق مقاومته والوقوف فى وجه استشرائه ، ثم محاولة استئصاله ليست عصية ولا مستحيلة إذا ما حسنت النيات ، وتنبهت الجهات المسئولة فى كل أنحاء العالم العربى إلى هذا الخطر الداهم ، وصرفت لمقاومته ولو قدراً صغيراً من اهتمامها وميزانيتها "[١] ومن الوسائل التى تعمل على مقاومة هذه الآفات التى تنخز فى عظام العربية توحيد طرق الإصلاح اللغوى فى البلاد الناطقة بالعربية فقد تعددت طرق الإصلاح فما يظنه بعضهم أنه خطأ ، يبرأ ساحته آخرون ويؤكدون صحته ، وهذا يخلق بلبلة عند المتلقى على أىّ الأمرين يسير؟ ، وأىّ المنهجين أصوب؟ ، وكل واحد يعتمد على آراء وأقوال ونصوص يحتج بها . " إذ من أهدافنا جميعاً تجاوز الفروق الطبقية ، وتقريب الشقة بين الفئات الاجتماعية ، وذلك ليس فقط بالعدالة الاقتصادية بل – أيضاً – بالمساواة فى التخاطب بلغة مشتركة – لا هى عامية سوقية ، ولا هى معزولة الأصول محدودة الفروع ، بلغة أصيلة حية ، تجمع بين كافة الشعوب العربية ، وتربط الحاضر بجذوره العريقة "[٢] ولا شك أن الدرس العلمى يقوم على عاتقه الجانب الأكبر فى التقريب بين الفصحى والعاميات بأن تسخر أقسام اللغة العربية فى كليات اللغة العربية وأقسام اللغة العربية فى كليات الآداب والتربية ، ودار العلوم – والدراسات الإسلامية جهودها فى تسجيل طلاب الدراسات العليا بدراسة اللهجات الواقعية المستعملة على ألسنة الناس فى جميع الأوطان العربية وينظرون إلى نظام الأطالس اللغوية فى المدرسة الألمانية أو الفرنسية "[٣] ، ويعلموا على تطبيقه على لهجاتنا

---

[١]– العربية الصحيحة د / أحمد مختار عمر ص ٣٥ طبع عالم الكتب سنة ١٩٩٨م.

[٢]– اللهجات العربية (العامية والفصحى ٢ / ٢٩٥ .

[٣]– المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى د / رمضان عبد التواب ص ١٥١ – ١٥٦ طبع مطبعة الخانجى بمصر .

عن طريق المنهج الوصفى ثم تتم المقارنة بينه وبين اللغة الفصحى ، لكى يتضح لهم مواطن الانطباق ، ومواطن الاختلاف ، وكيف يمكن علاجها وعن ذلك يقول الدكتور البدراوى زهران " الدراسات التحليلية التقابلية اللغوية بين الفصحى والعاميات هى العمل العلمى الذى يعتمد عليه المخطط للسياسة اللغوية إزاء ظاهرة الازدواجية "[١] وعلى المجامع اللغوية فى البلاد العربية أن تسخر محرريها فى رصد اللهجات وتدوينها وترتيبها ودراستها وإيجاد الحلول فى التقريب بينها وبين الفصحى وهذا ما أشار إليه الأستاذ أحمد حسن الزيات إذ يقول " يخرج المحررون كل يوم إلى المتاجر ، والمصانع ، والمزارع ، فيسألون كل ذى سلعة ، وكل ذى صنعة ، وكل ذى آلة عن اسمها ، واسم كل جزء من أجزائها ، وكل نوع من أنواعها ، ثم يدونون كل ذلك بأوصافه وصوره ، ويصنع مثل ذلك فى الأقطار العربية .... حتى إذا عادوا ضموا ما جمعوا إلى ما جمع غيرهم ثم قدم كل أولئك إلى اللجان المختصة فتصنفه وتغربله وتعرفه ثم تعرضه على مجلس المجمع "[٢] وكما أسلفنا من قبل لابد من التوحّد فى القرارات والمصطلحات ولذلك يقول محمد العدنانى " أرجو من مجامعنا أن تتوحد كلها ، وتنبثق من ذلك المجمع الموحد لجنة تؤلف معجماً حديثاً ، شاملاً ودقيقاً ، تثبت فيه المولّد والمعرَّب والدخيل ، وتشرف على طباعته ، ليخرج للناس دون خطأ لغوى أو طباعى كما نرى فى معجمات الغرب وكتبه"[٣].

ويرى الأستاذ محمود تيمور أن الخير فى دراسة اللهجات يعمل على الوصول بالفصحى لتكون لغة التخاطب والحديث اليومى حيث يقول " الخير كل الخير فى أن ندرس قواعد هذه العامية ، ومراجعها من اللهجات العربية ، عسى أن نستعين بها فى إعداد قواعد الفصحى ، بما يوسع ، وما يعالج مشكلاتها التى تعانيها فى الوفاء بحاجات مجتمعنا الراهن ، نكفل لها أسباب اليسر ، ونوايتها بالمزيد من المرونة والطواعية ، وبذلك

---

[١]- اللهجات العربية (الفصحى والعامية) ٢ / ٢٤٣ .

[٢]- السابق ٢/ ٢٥٩.

[٣]- معجم الأخطاء الشائعة تأليف محمد العدنانى ص ٨ مكتبة لبنان سنة ١٩٨٩م .

نزودها بعوامل النماء والازدهار ، ونذلل ما يعترض طريقها من عقبات رجاء أن تبلغ بها المأرب البعيد ، والأمنية القصوى ، فتكون لغة المخاطبة والحديث، كما هى لغة الكتابة والتدوين "[١] وإذا أردنا تحقيق هذه الأمنية بأن تكون الفصحى لغة المخاطبة والحديث لابد من حماية المنفذ الأساس الذى تتحقق به اللغة " السمع والبصر هما المنفذان اللذان يتلقى المرء عنهما اللغة ، أىّ لغة فى هذا الوجود، وإذا ما شاعت الصحة فى هذين آتت أكلها الحميد ، وخلقت البيئة اللغوية المنشودة "[٢] ولكى تتحقق صيانة السمع والبصر لابد من مرعاة الاستخدام اللغوى فى المنزل ، وفى مراحل التعليم بكل مراحله الجامعية وما قبلها ، وتكون المراعاة من الزوايا الثلاث ، الطالب والمعلم والكتاب ، وكذلك أجهزة الإعلام بأنواعها المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة ، وأجهزة الدولة الداخلية والخارجية ، فمن الداخل الأجهزة المحلية والخدمية لا تقبل التعامل إلا باللغة العربية فى الطلبات التى تقدم ، وفى العبارات التى تُسَمى بها المحلات أو الشركات أو الفنادق ، أو غيرها ممن تُعَلّق عليه "يافطة" ، وكذلك الأعمال الفنية من الشعر والزجل والمسرحيات والأفلام ، وغيرها من الأعمال السينمائية والتليفزيونية ، يضاف إلى ذلك إن لم يكن قبله المواقع الاجتماعية فى " النت " ما يسمى "بالفيسبوك " و"اليتيوب" فإذا كان بإمكان المسؤولين إغلاق هذه المواقع وقت حاجتهم لمنعها ، فيمكنهم أن يصنعوا من القواعد يحيث لا يتمكن من هذه الخدمة إلا إذا أجاد العربية فى الحديث والكتابة .

وعلى المجامع اللغوية – كما اسلفنا – رصد الواقع اللغوى المعاش ، وغربلة الألفاظ المستخدمة وإضافة ما كان فصيحاً إلى الاستخدام الصحيح والعمل على إيجاد ألفاظ من العربية – وهى قادرة – لمستجدات الحياة . " وردت علينا كلمات " البسكليت " و " الأوتومبيل " و " التلغراف" وغيرها من الكلمات الدخيلة ، فتصدت لها كلمات عربية أو أدنى إلى العربية إجلاءها ، كلمة " البسكليت " زاحمتها العجلة والدرَّاجة ، وكلمة " الأوتومبيل" زاحمتها العربة والسيارة ، وكلمة "التلغراف" زاحمتها البرقية ،

---

[١]– مشكلات اللغة العربية ص ١٧٨– ١٧٩ .

[٢]– حركة التصحيح اللغوى فى العصر الحديث ص ٣٣٢.

ولن يكون مصير هذه الكلمات الثلاث إلا الجلاء "[١] " علينا – إذن – ألا نعطل ظهور اللفظة الفصحية بحجة أنها غير معروفة ، وأن مقابلها العامى أو الأجنبى شائع صقله الاستعمال فهذه حجة تدحضها الأمثلة البعيدة ، فى الماضى والحاضر ؛ إذ تداول الجمهور كلمات كانت بادئ بدء الاستغراب ، بل هدف السخرية والاستهزاء ، واستبدال الناس بما كانوا يألفون من الكلمات العامية والأجنبية كلمات جديدة وطريفة ، أصبحت هى المألوفة المأنوسة التى لا يصطنعون غيرها حين يعبرون وحين يكتبون . ليكن عملنا – إذن – إزاء الكلمة الفصيحة أن نهيئ لها فرصة التعرف ، وأن نمهد لها طريق الشيوع ، فالجمهور يجد فى نفسه الحاجة إليها ، ويضمر التعلق بها ، ولن يمضى عليها وقت طويل ، حتى تكون لها الغلبة على مقابلها العامى أو الدخيل "[٢].

وعن الجوانب التى تحدثنا عنها من قبل ، وابتدأناها بالمنزل ، فإن المنزل هو الذى يبدأ الصبى يشب فيه ويتعلم اللغة والنطق منه ، فلو أنه غُدّى بألفاظ فصحية درج عليها ، ولقد لاحظت ذلك على ابن لى صغير لم يغادر الرابعة من عمره ، فقد وجدته ينطق بكلمات وجمل فصيحة وصحيحة لغوياً ، فجذبنى ذلك وإن كنا لا نردد مثل هذه الجمل أمامه ، إلا أنه اقتبسها من أفلام الكرتون التى يشاهدها ، وهى فى حواراتها بالعربية الفصيحة ، فلكثرة تردده على سمعه وعاها ونطق بها فى الموقف الذى يشابه الموقف الذى سمعه .

وعن ذلك يقول ابن خلدون " والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال ؛ لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ، ثم تتكرر فتكون حالاً ، ومعنى أنها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أى صفة راسخة . فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربية موجودة فيهم ، يسمع أهل جيله ، وأساليبهم فى مخاطباتهم أولاً ، ويسمع التراكيب بعدها ، فيلقنها كذلك ، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد فى كل لحظة ومن كل متكلم ، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم .

---

[١]– مشكلات اللغة العربية ص ٩٠ .

[٢]– السابق ص ٩١ .

هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال"[١].

أما عن التعليم والمعلم والطالب ، فإن تعليم اللغة العربية يحتاج إلى منهجية تكاملية تهدف إلى إتقان الطالب ، للغته ، وهذا يقتضى " النظر إلى اللغة العربية نظرة كلية تقوم على أنها علوم متكاملة يساعد بعضها بعضاً ، وأن لها بالإضافة إلى الهدف الخاص لكل منها هدفاً مشتركاً هو إتقان اللغة فهما إذا قرأ الطالب أو سمع ، وإفهاماً إذا تحدث أو كتب "[٢] أما اللغة العربية فى مصطلحنا التعليمى فهى مادة ذات مقررات متعددة ، أو فروع مختلفة هى الأدب والمطالعة والنحو والصرف والبلاغة والإملاء والخط ، ولكل من هذه الفروع هدف خاص ، ثم إن لها مشتركة هدفاً " متكاملة " لتحقيقه ، فإذا لم يتحقق التكامل أخفقنا فى تحقيق الهدف العام ، بل قصرنا أيضاً فى تحقيق الهدف الخاص بكل مقرر . وهكذا أصبح " المنهج المتكامل فى تدريس العربية " عنواناً مبيناً واضح الغايات والأبعاد "[٣] وهذا يقتضى الدقة فى اختيار اللجان التى تؤلف كتب اللغة العربية بحيث يكونون من ذوى الخبرة ، وممن مارسوا التعليم فى مرحلة ما قبل الجامعى ، وأن تكون هذه المقررات على قدر إدراك الطالب ، مع وجود معجمات للكلمات الجديدة فى كل فرقة ، واختيار نصوص أدبية من التراث العربى ، بحيث تكون موافقة لقدرات الطلاب فى كل فرقة ، ولا مانع من أن تكون هناك قراءة لهذه النصوص على " كاسيت" بأصوات أساتذة مهرة فى الآداء وإتقان اللغة حتى يتدرب الطالب على قراءة النص القديم ، ووضع القواعد والبرامج التى تتيح للطالب إمكانية النطق والكتابة الصحيحة للغة . وقد أوضح ابن خلدون الوسيلة الصالحة لكى يتمكن الفرد من إتقان لغته ، وكأنه نشأ بين الفصحاء ، وتصبح اللغة له سليقة ، وهذا دليل يجب أن نحذو حذوه حيث يقول "اللغات لما كانت ملكات – كما مرَّ – كان تعلمها ممكناً شأن سائر الملكات . ووجه التعليم لمن يبتغى هذه الملكة

---

[١]- المقدمة ص ٥٥٤ – ٥٥٥ .

[٢]- مقالات فى اللغة العربية د / مازن المبارك ص ٧٨.

[٣]- السابق ص ٥٩.

ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على أساليبهم من القرآن والحديث ، وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب فى أسجاعهم وأشعارهم ، وكلمات المولدين – أيضاً – فى سائر فنونهم ؛ حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم "[١] وهذه النصوص المختارة بعد القرآن الكريم والحديث النبوى يجب أن تكون بعيدة عن التقعر والغرابة ؛ لأن صيانة اللغة ليست فى تقديس اللفظ القديم " لابد من تجنب غموض الألفاظ والتباس العبارات ، والاهتمام بالقديم الغريب على المستحدث الذى يفى بالمعنى المقصود فصيانة اللسان العربى ليست فى تقديس اللفظ ؛ لأنه عتيق ، بل لأنه لا يحمل إبهاماً ولا تشويشاً على بيان الكلام وتفهيمه "[٢] ولذلك فإن الباحثين يرغبون فى لغة "يفهمها الفلاح والملّاح والنجار والبناء ، لغة سخية تسعد أبناءها جميعاً بغير حساب ، تجمع بين التواضع والجبروت يرى فيها العوام ما يشاءون من البساطة والجمال ، ويرى فيها الخواص ما يريدون من السمو والتحليق ، لغة مبذولة على نحو ما يبذل الضوء والهواء ، يأخذ منها كل إنسان ما يناسب عينيه ورئتيه"[٣].

ولابد من تغيير النظام التعليمى الحالى القائم على التلقين بحيث يحفظ القاعدة ولا يمكنه تطبيقها فى الكلام ، ولذلك نحتاج إلى الحوار والتدريب بحيث يصل الطالب إلى القاعدة من خلال الحوار وينطق الصحيح من الألفاظ ، ويستشعر ويعرف الخطأ بنفسه . ولذلك فإن الدكتور حسام يرى أن نظام التعليم الحالى لا يدفع الطالب لمعرفة اللغة على أنها هوية ويجب الحفاظ عليها ، بل يحفظها للحصول على درجة النجاح فيقول " وخلاصة القول هنا أن أساليب تعليم اللغة العربية القائمة حالياً ، وكذلك الظروف التربوية والاجتماعية لتطبيقها تكاد تؤدى إلى وضع العربية فى موضع " لغة أجنبية " يدرسها الطالب ليحصل على علامة النجاح فيها لا

---

[١]– مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٩.
[٢]– المنهل العدد ٤٤١ ص ٨٢.
[٣]– ظواهر قرآنية د/ البدراوى زهران ص ٣٤٣.

ليكتسبها سلاحاً يمارسه فى معركة الحياة "[١] وفى المحصلة نقول " إن ضعف التعليم فى الجوانب العديدة يقودنا إلى ربط ضعف اللغة العربية بضعف جميع أطراف العملية التعليمية معلمها ، ودارسها ، ومنهجها بوصف التعليم هو الفاعل والمفعول به فى كل هذه الأطراف ، وإلى أن انحراف عمليات تعلم اللغة العربية وتعليمها بناء على ذلك يؤدى إلى عدم تحقيق الأهداف المرسومة لها الآمال المعقودة عليها ، وبذلك تعرضت إلى الخلل الذى أدّى فى النهاية إلى تعطيلها عن قدرة الصمود والتجلى ، ففقدت قدرة القيام بأدوارها الوطنية ، ومسؤولياتها الحضارية ، وانزوت لتصبح لغة المناسبة "[٢]. ولهذا إذا أردنا أن نحصل على الهدف الأساس من تعليم اللغة العربية بأن تكون لغة المخاطبة فى الحياة فلابد من تذليل جميع الصعاب أمام مدرسى اللغة العربية ، وإعلاء مكانتهم فى المجتمع ، لا كما يصورهم الإعلام فى الأفلام والمسرحيات ، وأن يكرم الطلاب المتفوقون فى اللغة بكل أنواع التكريم حتى يكونوا قدوة لزملائهم ، وأن تغربل المناهج بما يجعل اللغة قريبة مفهومة من كل فئات الشعب قبل المتعلم ويكون التركيز على التدريب المستمر لمعلمى اللغة العربية .
وكثرة اللقاءات المفتوحة للطلاب ليتباروا فى فنون العربية ، ويكون هناك من يقوّم ذلك من الخبراء التربويين ؛ ليأخذ الحسن ويعمل على علاج السئ .
وأما عن أجهزة الإعلام بأنواعها المختلفة المسموعة والمرئية والمقروءة ، فإنها من أخطر الوسائل على اللغة العربية ، وفى الوقت نفسه يمكن أن على إشاعة استعمال الفصحى ، لو أن هذه الأجهزة رفضت من أو المعلنين استخدام غير الفصحى " إن المجمعيين والجامعيين أقل تأثيراً نشر اللسان العربى وترويجه بين القراء العاديين وبين الأغلبية الساحقة من تأثير المذيعين والممثلين السينمائيين والصحفيين ، فمن الصحفيين من يضعون مصطلحات وعبارات وترجمات تفرض نفسها بفضل التكرار ، ويتعود عليها البصر أو السمع فتستقر بالذاكرة ، وهذا ناموس طبيعى ؛

---

[١]- اللغة العربية إضاءات عصرية ص ٦٩.
[٢]- مجلة الدراسات اللغوية ص ٢١٦.

ما يجد قلباً خالياً يتمكن " [١]، ولهذا على القيادة السياسية فى البلاد العربية أن تجعل قضية استعمال الفصحى قضية أمن قومى " إن القضية مصيرية وبالتالى تستوجب تغيير بنيات أجهزة الأعلام والتثقيف ، وغربلة أطر مسؤولة واستبدال فنانين وصحفيين بآخرين يفرضهم مستواهم الثقافى واللغوى ويعُون مسؤوليتهم حق الوعى ، بذلك سيفرض اللسان العربى حقه فى المواطنة بالسوق والبيت والشارع ، ويتجذر فى الأجيال الصاعدة"[٢] " إن لغة الصحافة – مثلاً – تلعب دوراً هاماً فى نشر الأخبار والمعطيات العلمية والفنية (الصحيح منها والمغلوط والصادق والكاذب) إنها تصنع الرأى العام ، ولها فعلات قوية النفوذ إلى ضمائر الشعوب وإلى ذاكرتها التاريخية "[٣] وعلى ذلك يجب " أن يجابه بإرادة حديدية من لدن جامعة الدول العربية ، " والأيسكو" والحكومات العربية ، كى يلزموا رؤساء المسارح والمسؤولين عن مراكز الإعلام ومديرى الصحف بأن يتحروا اختيار معينهم"[٤].

ولكى يتم التفاعل بين هذه الأجهزة ، وبقية قطاعات المجتمع بكل أفراده مثقفين وغير مثقفين يجب " تأسيس شبكة للتوزيع تربط بين مجموع الجامعات ، والمعاهد ، والمجامع ، والجمعيات الثقافية ، والإذاعات ، والتلفزات العربية ، لترويج المصطلحات والمقررات التى يقرها مجمع المجامع "[٥] " ولذلك فإن الإذاعة هى التى تستطيع الارتفاع بالجماهير فى مجتمعنا ، وقد أصبح نزولها إلى لغة الشارع من أجل استرضاء الجماهير خطراً على الجماهير أنفسها"[٦] وفى القرن الواحد والعشرين ظهرت خدمة "النت" وأخص مواقع التواصل الاجتماعى "الفيسبوك" و"اليتيوب" وما يكتب يكتب فيها أو يقال مسموعاً ، وقد صنع فى الأيام الأخيرة وما يزال

---

[١]– المنهل العدد ٤٤١ص ٧٦.
[٢]– السابق ص ٧٧.
[٣]– السابق ص ٧٤.
[٤]– السابق ص ٧٤.
[٥]– المنهل ص ٨٣
[٦]– لغة الإذاعة تأليف عبد المنعم شميس ص ١٥ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م.

فأزيلت قيادات وحكومات من خلال هذه المواقع وهذا دليل على أهميته وكثرة استخدامه ، ولكن الكثير من استخداماته إن لم يكن معظمها يتم بالعامية ، أو العربية الملحونة ، فلو أن الجهات المسؤولة ، وواضعى البرامج وضعوا القيود على هذه المواقع بأن التواصل لا يتم إلا باللغة الفصحى ولحاجة المتعاملين به سيلجأون إلى إتقان العربية وكما يقولون " الحيلة وليدة الحاجة " واعتقد أن هذا الأمر ليس ببعيد إذا توفرت النيات الحسنة والإرادة السياسية والعمل التقنى كفيل بهذا وليس عصياً أو بعيداً .

وأما عن الأجهزة المحلية فى البلدان العربية والوظائف الخدمية عليها كبير فى أنهم لا يقبلون من الطلبات فى كل عمل إلا ما هو صحيح وفصيح ويرفضون العامى والأجنبى " من أمراض الشخصية فى مصر ما نشاهده فى المصالح والدواوين من كتابة أسماء الغرف بلغة دخيلة تزاحم اللغة القومية بلا تحرج ولا استحياء ... وفى أيامنا هذه انتشرت هذه البدعة فى كل مكان ، وبين كل طبقات المجتمع ، ويجب أن يكون لنا بإزاءها ثم يوجب على الحكومة الاكتفاء بالكلمات العربية فى جميع المصالح والدواوين "[١].

وختاماً فإن المجتمع بجميع قطاعاته وأطيافه مطالب بأن يُدلى بدلوه فى الحفاظ على استعمال الفصحى فى البيت والشارع والسوق والعمل فى حالات الجدِّ والمزاج ويكون تحقيق هذا الأمر على الأسرة فى المنزل ، وقطاع التعليم بكل مراحلة والأجهزة المحلية والسياسية بالدولة ، والمجامع اللغوية ،وأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة حتى لا يطرق سمع المرء، ويقع بصره إلّـــا على لفظ عربى سليم وفصيح .

---

[١]- ظواهر قرآنية ص ٣٦٠.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .
٢- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى طبع دار صادر – لبنان – مطبعة بريل المسيحية سنة ١٩٠٦م.
٣- أدب الكتّاب لأبى بكر محمد بن يحى الصولى تحقيق محمد بهجة الأثرى نشر دار الباز للطباعة والنشر .
٤- الازدواج اللغوى فى اللغة العربية تأليف عبد الرحمن محمد القعود مطابع التقنية للأوفست بالمملكة العربية السعودية سنة ١٤١٧هـ .
٥- ألفاظ عامية فصيحة للدكتور محمد داود التنير طبع دار الشروق – لبنان سنة ١٩٨٧م.
٦- الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين طبع المطبعة العصرية .
٧- البيان والتبيين للجاحظ تحقيق فوزى عطوى طبع دار صعب – لبنان سنة ١٩٦٨م.
٨- تاج العروس للزبيدى طبع مطابع دار صادر بيروت سنة ١٩٦٦م.
٩- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكى الصقلى تحقيق د/ عبد العزيز مطر طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٣م.
١٠- التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه للدكتور رمضان عبد التواب نشر مكتبة الخانجى بمصر سنة ١٩٨٣م.
١١-التعريفات للجرجانى تحقيق إبراهيم الإبيارى طبع دار الريان للتراث .
١٢-تقويم اللسان لابن الجوزى تحقيق د / عبد العزيز مطر طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٧م.
١٣-التنبيه على غلط الجاهل والنبيه للعلامة أحمد بن سليمان الرومى تحقيق د/ جمال عبد الكريم المهدى طبع التركى بطنطا سنة ٢٠٠٤م.

١٤-حركة التصحيح اللغوى فى العصر الحديث د / محمد ضارى حمادى . منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية سنة ١٩٨٠م.
١٥-الخصائص لابن جنى تحقيق محمد على النجار طبع عالم الكتب سنة ١٩٨٣م .
١٦-الصاحبى لابن فارس تحقيق السيد أحمد صقر طبع دار إحياء التراث للحلبى سنة ١٩٧٧م.
١٧-طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزبيدى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣م.
١٨-ظاهرة الضعف العام فى استعمال اللغة العربية . دراسة أعدت بإشراف المجلس العلمى فى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مطابع الجامعة سنة ١٤١٢هـ .
١٩-ظواهر قرآنية فى ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين للدكتور البدراوى زهران مطبعة النهضة العربية بمصر سنة ٢٠٠٥م.
٢٠-العربية دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب تأليف " يوهان فك " ترجمة د/ رمضان عبد التواب نشر مكتبة الخانجى بمصر سنة ١٩٨٠م.
٢١-العربية الصحيحة للدكتور أحمد مختار عمر طبع عالم الكتب سنة ١٩٩٨م .
٢٢-العربية لغة العلوم والتقنية للدكتور عبد الصبور شاهين طبع دار الاعتصام بالقاهرة سنة ١٩٨٦م.
٢٣-علم اللغة الاجتماعى – مدخل – للدكتور كمال بشر طبع دار غريب للطباعة بالقاهرة سنة ١٩٩٧م.
٢٤-علم اللغة د / على عبد الواحد وافى طبع دار نهضة مصر .
٢٥- عيون الأخبار لابن قتيبة طبع الكتب العلمية – لبنان – بيروت .
٢٦-فى علم اللغة التاريخى د / البدراوى زهران طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٨١م.
٢٧- فى اللغة والأدب د / إبراهيم بيومى مدكور سلسلة اقرأ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠م.
٢٨-الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن قيم الجوزية طبع مكتبة المتنبى بالقاهرة .

٢٩-كتاب سيبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون نشر مكتبة الخانجى بمصر سنة ١٩٨٢م.
٣٠-لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة د / عبد العزيز مطر طبع دار الكتاب العربى بالقاهرة سنة ١٩٦٧م.
٣١- لسان العرب لابن منظور طبع دار صادر بيروت .
٣٢-اللغة الباسلة د / فتحى جمعة نشر دار النصر للتوزيع بالقاهرة سنة ٢٠٠٤م.
٣٣-اللغة بين القومية والعالمية د/ إبراهيم أنيس طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠م.
٣٤-اللغة الخالدة تأليف أمين الله عيروض مطبعة الشرق – حلب – سورية .
٣٥- اللغة العربية إضاءات عصرية د/ حسان الخطيب طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٥م.
٣٦-اللغة العربية معناها ومبناها د / تمام حسان طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٧م .
٣٧- اللغة كائن حى للأستاذ جرجى زيدان طبع دار الهلال .
٣٨-اللغة وبناء الذات – كتاب الأمة – العدد ١٠١ جمادى الأول سنة ١٤٢٥هـ .
٣٩-لغتنا والحياة د / عائشة عبد الرحمن طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١م .
٤٠-اللهجات العربية (الفصحى العامية) عمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة جمع وإعداد ثروت عبد السميع سنة ٢٠٠٦م.
٤١-اللهجات وأسلوب دراستها د / أنيس فريحة طبع دار الجيل – بيروت سنة ١٩٨٩م.
٤٢-مقالات فى العربية د/ مازن المبارك طبع دار البشائر – دمشق سنة ١٩٩٩م.
٤٣-المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى د/ رمضان عبد التواب طبع مطبعة الخانجى بمصر .
٤٤-مشكلات اللغة العربية تأليف محمود تيمور طبع المطبعة النموذجية بمصر .

٤٥-معجم الأخطاء الشائعة تأليف محمد العدنانى مكتبة لبنان سنة ١٩٨٩م.
٤٦-معجم الأخطاء اللغوية المعاصرة تأليف محمد العدنانى طبع مكتبة لبنان سنة ١٩٨٩م.
٤٧-المعجم العربى نشأته وتطوره د / حسين نصار طبع دار مصر للطباعة سنة ١٩٨٨م.
٤٨-مقدمة ابن خلدون تحقيق درويش الجويدى طبع المكتبة العصرية سنة ١٩٩٥م.
٤٩-موجز تاريخ علم اللغة فى الغرب تأليف ر. هـ ز روبنز . ترجمة د / أحمد عوض من إصدارات عالم المعرفة بالكويت .
٥٠-نقد النثر لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب طبع دار الكتب العلمية لبنان سنة ١٩٩٥م.

الدوريات والجرائد

٥١-التبيان مجلة تصدرها الجمعية الشرعية بمصر .
٥٢-جريدة صوت الأزهر جامعاً وجامعة جريدة أسبوعية .
٥٣-مجلة الدراسات اللغوية مجلة تصدر من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .
٥٤-المنهل مجلة شهرية للآداب والعلوم للثقافة تصدر بالمملكة العربية السعودية .